الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبية

وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي

جامعة د. الطـــاهر مولاي – سعيدة –

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية.

شعبة التاريخ

دور توات في النشاط التجـــــاري عبر الصحـــــــراء الكبرى خلال العصر الحديث.

مذكرة تخرّج لنيل شهادة المـــاستر في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث.

إعداد الـــــطالبة:

✍ دانـــي أسمـــاء.

إشراف الدكتـــور(ة) :

✍ د. قدوري عبد الرحمان

أعضاء اللجنة المنـــاقشة :

الدكتور (ة) :....بكـــوش فـــــافـــة ...جـــــامعة سعيدة.....رئيســـــــــاً

الدكتـــور : ..قـــدوري عبد الرحمان...جـــــامعة سعيدة.....مشـرفاً ومقرراً

الدكتـــور : .....دلبـــاز محمـــــد....جـــــامعة سعيدة.....مُنـــــاقشاً

السنة الجامعية : 1445هـ/1446هـ_ 2024م/2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بعد شكر الله عزّ وجلّ على فضله وحسن توفيقه لنا على إنجاز هذا العمل البحثي؛
فإنّه يشرّفنا أن نتقدّم بشكرنا واحترامنا إلى مؤطرنا الأستاذ الفاضل :
"قـــدوري عبد الرحمان"؛
على كل ما أسنده لنا من الإرشادات والتوجيهات؛
فكان الأساس والعماد لنا على إتمام هذا العمل المتواضع؛
باحترام واعتزاز كبيرين، نسجّل شكرنا لجميع أســـاتذة تخصّص التاريخ بجامعة الدكتور مولاي الطاهر جميعـــاً؛
كما نتقدّم بالشكر لعائلاتنا، ولكلّ من مدّ لنا يد العون من قريبٍ أو من بعيد؛
كما أتوجّه بجـــزيل الشكر والتقدير إلى لجنة المناقشة الموقرة.

إهـــداء

لا يطيب الليل إلاّ بشكـــره؛ ولا يطيب النهار إلاّ بطـــاعته ...

ولا تطيب اللحظات إلا بذكر الله جلّ جلاله؛

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى من منحني القوّة على الإجتهاد، وحبّ العمل ومن أضاء لي طريق الوصول إلى شاطئ الأمـــان، وصاحب الفضل في حياتي "**أبـــي العزيز**"، حفظك الله وأطال في عمرك؛

إلى من حملتني وهن على وهن، ومنبع الحنان؛

"**أمّي الغـــالية**"، اللهمّ احفظها وارزقها الصحّة والعافية؛

إلى صديقتي الغاليتين؛ "خديجة"؛ و"خالدية"، رفيقتي الدّرب وبهجة الرحلة،

لكم من القلب كلّ الإمتنان والمحبّة على الدعم والمساندة والذكريات التي لا تنسى؛

وجودكما نعمةً، ومرافقتكما فخر.

قائمة المختصرات

باللغة العـــــربية :

* ع : عدد.
* مج : مجلد.
* ص : صفحة.
* ص ص : صفحتين متتاليتين.
* ج 1 : جزء الأول.
* ط : طبعة.
* د.ط : دون طبعة.
* تح : تحقيق.
* تصـ : تصحيح.
* تق : تقديم.
* درا : دراسة.
* مرا : مراجعة.
* تع : تعليـــق.
* د.ب، دون بلد.
* د.ت: دون تاريخ.
* د.م.ن: دون مكان نشر.
* م : ميلادي.
* هـ : هجري.

باللغـــة الأجنبية :

* *P : Page.*
* *Ibid : ibidom.*
* *Op_cit : opera citato.*

مُقدمة

مقـــــدمة :

تعدّ منطقة توات من أبرز المناطق الصحراوية التي كان لها دورٌ محوريٌ في تاريخ التجارة العابرة للصحراء الكبرى خلال العهد العثماني؛ فقد شكّل موقعها الجغرافي الإستراتيجي الواقع في قلب الصحراء الجزائرية، نقطة التقاء بين الشمـــال إفريقيا، وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، ممّا جعلها معبراً حيوياً للقوافل التجارية ومركزاً لتبـادل السلع والثقافات، وقد تميّزت هذه المنطقة بوفرة مواردها المائية نسبياً مقارنةً بمحيطها، ممّا أتاح قيام ازدهار عدد من الواحات التي مثّلت محطّات رئيسية في الطرق التجارية الصحراوية.

وتتجلّى أهمّية موضوع توات التجارية في تنوّع المنتجات التي كانت تمرّ عبرها أو تنتج فيها، ... إلى جانب الكتب والمخطوطات التي ساهمت في انتشار الثقافة الإسلامية، كما أدّت الزوايا في هذه المنطقة دوراً فاعلاً في تسهيل المعاملات التجارية وضمان الأمن والإستقرار داخل القوافل، وهو ما عزّز من مكانة توات كحلقة وصل رئيسية بين الشمـال والجنوب.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأبعاد الإقتصادية؛ والاجتماعية؛ والثقافية التي ميّزت دور توات في النشاط التجاري عبر الصحراء خلال العصر الحديث، ومن خلال دراسة العوامل الجغرافية؛ والسياسية؛ والدينية التي ساهمت في تطوّرها، وتحليل طبيعة العلاقات التجارية التي ربطتها بالمنـاطق المجاور لها.

وجاء أسباب اختيارنا لموضوع :"دور توات في النشاط التجاري عبر الصحراء الكبرى خلال العصر الحديث"، نتيجة لجملة من الأسباب والدوافع الموضوعية والذّاتية أهمّها : الرغبة والميول في إثر الرصيد المعرفي حول هذا الموضوع، وأهمّية الإقتصادية لمنطقة التوات التي شكّلت عبر قرون محوراً استراتيجياً في شبكة الطرق التجارية العابرة للصحراء، وربطت بين الشمال إفريقيا وغبرها، كما أنّ قلّة الدراسات المتخصّصة التي تناولت هذا الدور؛ والتعرّف على إقليم توات ودوره في التجارة الصحراوية. ومـــا العوامل التي مكّنته من تأدية هذا الدور المحوري ؟

ومن هنا نبرز الإشكـالية رئيسية للبحث وهي :

* مـــا الدور الذي أدّته منطقة توات في تنشيط الحركة التجارية عبر الصحراء الكبرى خلال العصر الحديث ؟ وكيف ساهم موقعها الجغرافي ومواردها الإقتصادية في تعزيز التبادلات التجارية والثقافية بين شمال وجنوب الصحراء ؟

ولتوضيح هذه الإشكالية، يمكن طرح التساؤلات الفرعية التالية :

* مـا أصل تسمية إقليم توات ؟ ومـــا هي خصائصه الطبيعية ؟
* مـــا هي أبرز الطرق التجارية التي مرّت عبر توات، وما مدى أهمّيتها في ربط شمـــال إفريقيا بجنوبها ؟
* مـــا هي أنواع البضائع والسلع التي كانت تتداول عبر توات ؟
* مـــا هو أثر التجارة على الحياة الاجتماعية والثقافية في توات خلال العصر الحديث ؟

واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي يعتمد على وصف الأحداث ودراستها وتحليلها ونقدها.

واقتضت من هذه الدراسة، وضع خطّة شملت مقدّمة وفق خطوات منهجية لتسهّل بعدها موضوعنا بـ :

- الفصل الأول؛ بعنوان : "لمحـــة تاريخية وجغرافية لمنطقة توات"، تحدّثنا فيه عن موقع إقليم توات الجغرافي والروايات التي ذكرت أصل تسمية توات، وكذا أصل السكّان والفئات الاجتماعية، وأيضاً تحدّثنا عن التضاريس وطبيعة المناخ.
- الفصل الثاني؛ تحت عنوان : " توات مركز للقوافل التجارية"، والذي تناولنا فيه أهمّية توات في تجارة الصحراء، وبعدها عوامل ازدهار التجارة، وأخيراً أهمّ الطرق التجارية المربوطة بإقليم.

- الفصل الثالث؛ عرفنا بـ : "أثـــر توات في التجارة الصحراوية"، تطرّقنا فيه إلى الأسواق التجارية، وذكرنا أهم السلع والبضائع، وأهمّية الأسواق الداخلية التجارية، ثم انتقلنا إلى أثر التجارة التواتية على الواقع الاجتماعي والثقافي.

وأنهينا دراستنا لهذا الموضوع بخاتمة جاءت على شكل حوصلة لأهمّ النتائج المتوصّل إليها خلال مراحل البحث، كما دعمنا بحثنا بمجموعة من الملاحق بالإضافة إلى قائمة البيبلوغرافيا.

واعتمدنا كذلك في هاته الدراسة على جملة من المصادر والمراجع أهمّها :

- كتـــاب : "العبـــر" لـ : "ابن خلدون" الذي تعرّفنا من خلاله على أصل السكّان، وكذلك الموقع الجغرافي، كما أفادنا مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام للشيخ "محمّد بن عبد الكريم عبد الحق التمنطيطي التواتي" في تحديد موقع توات، وكذا عدد قصورها، كما أخذنا عن كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط "ابن بابا حيدة" تحقيق : فرج محمود فرج في معرفة خصائصها إقليم توات.
- بعد إطلاعنا على كتاب الرحلة العياشية لـ :"أبي سالم العياشي"، تعرّفنا من خلاله على الموقع الجغرافي وخصائص الإقليم بتوات؛ فوظّفناه في مذكرتنا مع كتاب "ابن بطوطة" ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل من تأليف : "حسين مؤنس"، وكذا "حسن الوزان" في كتابه : "وصف إفريقيا" الذي ترجمه : "محمّد خيضر حجي"، وذلك لتحقيق نفس الغرض لاختلافهم في تحديد الموقع الجغرافي بدّقة.
- "فـرج محمود فرج"، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة لنيل دكتـــوراه الدور الثالث في التاريخ، حيث تحدّث عن الحياة الاجتماعية والإقتصادية للمنطقة، وهذا ما ساعدنا خلال دراستنا لموضوعنا في معرفة طبقات المجتمع، وكذلك أهمّية الأسواق الداخلية التجارية وتقريباً جلّ الموضوع.

"مبـــارك جعفري"، و"عبـو الطاهر"، منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من قرن 09هـ/13هـ_15م إلى 19 م، مداخلـة ضـمن الملتقـى الـدولي السـابع (التجـــارة والتجّـار عـبر التـاريخ)، الجمعيـة المتوسـطية للدراسـات التاريخيـة والاجتماعيـة، تـونس، 11؛ 12؛ 13 ديسـمبر 2014م، الذي اعتمدنا عليه كثيراً في الأهمّية التجارية لتوات في تجارة الصحراء.

على هذا الأساس تمّ دراسة الموضوع دراسة علمية التي لا تخلو من صعوبات وعراقيل تعترض طريق الباحث، سواء ما تعلّق منها بالموضوع في حدّ ذاته أو ما تعلّق بالباحث.

- نقص الدراسات المخصّصة لهذا الموضوع بالرغم من أنّه ذا أهمّية كبيرة في تاريخ الجزائر.
- طبيعة الدراسة قائمة على جملة من المصادر والتي جلّها لا زال مخطوطاً ومن الصعب الوصول إليها.

دَاني أَسمَـــاء

الفصل الأول :

لمحة تاريخية وجغـــــرافية لمنطقة توات

الفصل الأول : لمحـــة تاريخية وجغرافية لمنطقة توات.

1. موقـع منطقة توات._____
2. التضـــاريس وطبيعة المنـــاخ._____
3. أصـــل التسمية._____
4. التركيبة الاجتمـــاعية لسكّان منطقة توات._____

الفصل الأول :

لمحة تاريخية وجغـــــرافية لمنطقة توات.

يتنـــــاول هذا الفصل دراسةً شاملةً لمنطقة توات، وذلك للتعرّف على موقع وأصل تسمية المنطقة بهذا الإسمتوات ، وذلك بفضل اهتمام المؤرّخين والباحثين في أصل التسمية، وكذلك معرفة الموقع الجغرافي لها بكلّ أبعاده، وذكر مناطقها الثلاث والقصور التي احتوت عليها، كما يعالج التركيبة الاجتماعية للمنطقة.

01. موقع منطقـــــة توات.

عند محاولة تحديد الموقع الجغـــرافي[1]؛ تواجهك مسألة تضارب الآراء بين المؤرّخين، ممّا يدفعنا إلى ذكر الإختلاف؛ فالإقليم يضمّ ثلاث مناطق : (توات؛ تديكيلت؛ تيكورارين) ثمّ عمّم اسم التوات على الإقليم كلّه الذي يضّم أجزاء صحراوية تابعة جغرافياً للمغرب الأوسط، إذ يتفرّع ليشمل منطقة توات التي تسمّى حالياً أدرار[2]؛ ومنطقة القورارة على حدّ رأي "محمّد بن بابا حيدة"، ومن منطقة تيكورارين اعتماد على رأي "عبد الرحمان بن خلدون" تيميمون حالياً، أمّا المنطقة الثالثة؛ فهي المسمّاة بمنطقة "عين صالح" أو "تيديكلت"[3]، وعموماً يقع الإقليم في جنوب المغرب الأوسط وهو جزء لا يتجزّأ من الصحراء الكبرى، يتحدّد بخطّي طول 2,30 ° غرباً ودائرتي عرضي 26,7° و28,5° شمالاً، يحدّه شمالاً العرق الغربي الكبير ووادي السورة من الجنوب وداي قاريت وهضبة موندير مع الصحراء تتزروفت التي يشقّها عرق شاش، أمّا من الشرق؛ فنجد العرق الشرقي الكبير والمحاذي لوادي ملوية ، وفي الغرب وادي مسعود وعرش شاش، وتتمركّز المناطق الثلاثة (قورارة، توات، تيديكلت) حوله هضبة تادميت من الجهة الغربية، حيث تأخذ منها مساحة لابأس بها، كما يحيط

---

[1] : ينظر إلى الملحق رقم : 01، ص 71.

[2] : الزهراء بوكرابيلة، إقليم التوات بين التعريف والتأليف، مجلّة القرطاس، ع : 03، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، (جانفي 2017م)، ص ص 194-204.

[3] : فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ**، جامعة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ ، الجزائر 1977، ص 02

بالإقليم أودية كثيرة أهمّها الوديان الثلاثة واد المقدون، واد مسعود[1]؛ ووادي قاريت مكوّنة من سباخ ملحية كـ : سبخة الجنوبية مكرغان، وسبخة محاذية لمنطقة توات يصبّ فيها وادي مسعود هي سبخة أزل ماني[2].

وإقليم توات يمتدّ على مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر مربّع، تشمل عدد من الواحات والقصور التي يفوق عددها ثلاث مائة قصر في أدرار لوحدها على ذكر الشيخ "بالعالم باي"[3]؛ وأمّا في القرن الحادي عشر هجري؛ فكانت عدد القصور مائتي قصر، يذكر تلك القصور المؤرّخ "ابن خلدون" في معرض كلامه قائلاً : " ... فمنها على ثلاث مراحل قبيلة سجلماسة، وتسمّى وطن توات، وفيه قصور متعدّدة تناهز المائتين أخذت من الغرب إلى الشرق وآخرها من الشرق يسمّى تمنطيط، وهو بلد مستبحر في العمران ... ومن هذه القصور على عشرة مراحل منها قصور تيقورارين ... "[4].

2.1 التقسيم الجغرافي لإقليم توات :

يتوزّع الإقليم على ثلاث جهات في شكل هلال[5]، من الشّمال إلى الجنوب على النّحو التالي:

أ. " جهة تيكورارين"، وتعرف تاريخياً أيضاً بإسم "القورارة"، لكنّ الإسم الحديث الغالب عليها هو "القورارة"، حدّد "ابن خلدون" (ت 808هـ/1406م) موقعها على مسافة عشر مراحل من تلمسان في بسيط وادٍ منحدر من المغرب إلى المشرق، واصفاً إيّاها بأنّها منطقةٌ خاصّة بالسكّان، مستبحرة في العمران، قصورٌ كثيرة تقارب المائة، تسمّى "تيكورارين"[6].

أمّا "الحسن الوزان" (ت 957هـ/1550م) المعروف بـ : "ليون الإفريقي"؛ فقد أشار إلى موقعها شرق تسابيت بنحو 120 ميلاً، وأنّها منطقة مأهولة بالسكّان بين حدائق النخيل، ذات

[1] : الزهراء بوكرابيلة، المرجع السابق، ص ص 194 –204.

[2] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 02.

[3] : محمد بلعالم باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجيهات، الجزائر، دار هومة، د.ط، 2005م، ج01، ص 10.

[4] : ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1962م، ج07، ص 118.

[5] : ينظر إلى الملحق رقم (02)، ص 72.

[6] : ابن خلدون، المصدر السابق، ص 77.

أراضي كثيرة صالحةً للزراعة، إذ ما تمّ تسميدها بالسماد مشتملة على ما يقرب من خمسين قصراً وأكثر من مائة قرية[1].

والواقع أنّ الزيادة في عدد القصور "تيكورارين" وقراها أو النقصان فيها يُحيلنا إلى صعوبة تصوّر مجال ثابت لهذه المنطقة، بل السّمة الجغرافية الجامعة في نظر عديد من كتبوا عنها أنّها متداخلة مع مظاهر تضاريسية متباينة : شرقاً هضبة تادمايت الممتدّة حتّى شمال تيديكلت، غرباً واد الساورة، جنوباً توات الأصل أو توات الوسطى، حيث التماثل على صعيد السكّان والمسكن وأسلوب المعاش، يكاد يمتدّ إلى واحات "تيديكلت" لولا الفوارق اللّغوية، إذ تسرد اللّهجة الزيانيةمعظم قصور تيكورارين، بينما تعرّبت بصفةٍ متدرّجة كلّ من توات وتيديكلت، قصور تيكورارين، تنتشر أعداد كبيرة من القصوء بين تابلكورة في الشمال والمطارقة في الجنوب، يمكن ترتيبها في مناطق رئيسية كما يلي [2]:

ب. منطقة تيزكوك : تجاوز العرق الغربي الكبير قرب واد مقيدان، سكنتها قبائل زناتة في مساكن محصّنة ثمّ زحزحتها عن مضربها قبيلة المحاوزة [3] التي استقرّت بالمنطقة بدءاً من القرن الحادي عشر هجري الذي تدعى :" تيزكوك" أيضاً بلاد محارزة.

ج. قصور أولا سعيد : تقع هذه المنطقة في الضفّة الشمالية لسبخة الكبيرة، وتشكّل أغلبية السكّان من سماتها؛ أنّ لها سوق مهّم بعد سوق تيميمون.

د. قصور تبلكوزة : تسمّى بـ : "الزاوية الكبيرة" وشكّانها من العرب المرابطين من أولاد "سيدي الحاج بن محمّد تبلكوزة " على شكل مقطع طوله 03 كلم وعرضه 01 كلم محوره الكبير،

---

[1] : حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر : (محمد حجي ومحمد الأخضر)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1983م، ج02،ص 134.

[2] : أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ العام، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2011م/2012م، ص 04.

[3] :المحاوزة : قبيلة عربية من بني عامر، ارتبط وجودها في تيزكوك بمجيء شيخها "علي بن مسعود المحرزي" من تونس بغية نشر العلم والمعرفة، كما تنتشر بقصور سالي وتسابيت، ينظر إلى : محمّد حوتية وصالح حويتة، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة _ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلّية، د.ب، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع والترجمة، د.ط، ،د.ت، ج01، ص 70.

يتّجه من الشّمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتقع في مكان منخفض، حيث توجد أكثر واحاتها بالجنوب منها : واحة إدغام وسكّانها يقيمون سياج من جريد النخل لحماية واحتهم زحف الرمال[1].

هـ. منطقة توات الوسطى: لقد تبيّن لنا "محمّد صالح حوتية" في كتابه :"توات والأزواد" حدود منطقة توات الأصل أو توات الوسطى، وهي تقع ما بين نهاياتها الهضبة العليا للقورارة التي تكوّن الحافة الشرقية [4]لوادي مسعود والحافّة المقابلة له المسمّاة "العرق الغربي"؛ فتوات العليا، تبدأ من أعالي مقاطعة بواده في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتّجاه الغرب؛ فيأخذ اتّجاهه الأوّل من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقّان، وهذا الإمتداد هو ما يسمّى بمقاطعة توات الأصلية[2]؛ وأهّم قصورها جاءت كالتالي [3]:

1. قصور تسابيت: تبعد عن تيمي بحوالي 60 كلم، تشمل على 11 إحدى عشر قصر، ومن أهّم قصورها : الهبلة؛ عريان الراس؛ حمادة؛ برينكان وأسبع، زار هذا القصر العديد من الرّحالة منهم : الحسن الوزاني؛ والعياشي، حيث هذا الأخير ودخلنا أوّل عمالة، وهي ترى تسابيت، وزرنا أوّل قرية منها : قبر الوالي الصالح "سيدي محمّد بن صالح" المعروف بـ : "عريان الرأس"[4].
2. قصـــــر بودة : وهي ثاني المقاطعات التواتية تقع غرب مدينة أدرار، وتبعد عن مقرّ الولاية بحوالي 28 كلم، وقد زارها "ابن بطوطة" في رحلته، وبودة العليا تعني " الفوقانية"، وتفصل كلّ

---

[1] : عفيفة حوتية، **حاضر تينجورارين _دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلّية خلال القرن 13هـ/19م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، اشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2014م/2015م، ص 46.

4 .واد مسعود يتكون من اتحاد واد قير مع واد زوزفانة عند فجيج يتجه نحو الجنوب و هناك يطلق عليه وادي الساورة يصل كرزاز و يغير الاتجاه نحو الغرب ثم يتجه نحو الجنوب و هناك يطل اسم وادي مسعود ، فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص28

[2] : محمد صالح حوتية، المرجع السابق، ص 34.

[3] : ينـــظر إلى الملحق رقم (03)، ص 73.

[4] : أبو سالم عبد الله بن محمّد العياشي، الرحلة العياشية (1663/1661م)، تح : (سليمان القرشي وسعيد الفاضلي)، الإمارات العربية المتّحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط01، 2005م، مج : 01، ص 39.

منهما مسافة تقدّر بـ 08 كلم[1]؛ ومن أهّم قصورها : القصبة؛ ولغمارة؛ وأولاد يعيش؛ وأبار؛ وأولاد نجل؛ وزاوية بن يلي والمنصورة؛ وزاوية الشيخ[2].

3. قصر تيمي : هي أحد مراكز التوات الكبرى، كانت في القرن 12هـ/18م محل الحل والقعدة ومجتمع الحرب والسلم، تتنافس الرئاسة مع "عين صالح" و"تيميمون"، كانت بها أسواق يقصدها التجّار من كلّ مكان للبيع والشراء بجميع السلع المتنوّعة، وقصورها معروفة ذات صنة منها : أولاد بوحفص؛ مهدية؛ منصورية؛ أولاد براهيم؛ أولاد أحمد؛ أولاد عيسى[3]؛ أولاد علي؛ أولاد أوشن؛ أولاد أتقال؛ بني تامر؛ آدغا؛ بربع؛ أوقديم؛ كوسام؛ ملوكة؛ ميمون؛ ووانيةإضافةً إلى قصر تينيلان[4] القديم المشهور القريب منها.

4. تمنطيط : تواتر ذكرها في عديد المصادر، اعتبر "ابن خلدون" (ت 808هـ/1406م) تمنطيط آخر قصور توات جهة المشرق؛ وأنّها حاضرة ذات تجارة وعمارة، تنطلق من طريقها القوافل نحو بلاد السودان ذهاباً إيّاباً، بعدما دالت الأيّام على طريق بودة، حيث قال : " ... يسمّى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران " إلى أن قال : " فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعلى تمنطيت "[5].

ارتبط اسمها بواقعة إجلاء اليهود على يد الشيخ "محمّد بن عبد الكريم المغيلي" (90هـ/1503م) وقصّتها مشهورة تقع جنوب تيمي، ويحاذي سبختها المنخفضة عن مستوى سطح البحر مدرج قصبات على هضبة صخرية مغطّاة بطبقة من الرّمال والحجارة، محاطةً بالبساتين وواحات النخيل[6].

---

[1] : حليمة كحلاوي، **الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرن (12/14هـ_18/20م)**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الثقافي الاجتماعي، جامعة أدرار، 1436/1437هـ_2015/2016م، ص 11.

[2] : نفسه، ص 12

[3] : أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 07.

[4] : تينيلان : من المراكز الثقافية الهامّة في تاريخ توات، لفظها مركب من مقطعين تين وإيلان، وتعني مكان الأحرار، ينظر : محمّد بلعالم باي، المرجع السابق، ج01، ص 20.

[5] : عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 77.

[6] : أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 08

اعتبر "ابن خلدون" (ت 808هـ/1406م) تمنطيط آخر قصور توات من جهة المشرق، وأنّها حاضرةٌ ذات تجارة وعمارة، وتنطلق من طريقها القوافل نحو بلاد السودان ذهاباً وإيّاباً، بعدما دالت الأيّام على طريق بودة[1]؛ حيث قال : " ... يسمّى تمنطيت، وهو البلد مستبحر في العمران " إلى أن قال : " فتركوا تلك، ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعلى تمنطيط "[2].

2-ج جهة تيدكلت: وتعني باللّغة الأمازيغية راحة اليد أو اليد المفتوحة، وهي البلاد الواقعة بين الإنحدار الجنوبي لهضبة تادمايت إلى غاية الجهة الشمالية التي يحدّها وادي جاريت وقصورها موزّعة على سطح منبسط قليل التّلال[3]؛ حيث بلغ عدد قصورها 50 قصراً أهمّها : قصور أولف التي اعتبرها الأغواطي من أهمّ قصور منطقة توات من حيث الأهمّية والموقع. "البلدة الرئيسية في واحة توات، ولها نفوذ على المنطقة والسلطان فيها له جحود تضرب ما بين أيديهم الطبول، وله عقوبة توقيع العقوبة والسجن، وهو يمتلك الخيول والرّجال، ولكن ليس له خزانة دراهم"[4]؛ ومن أهّم المناطق التابعة لـ : "تيديكلت" نجد "أولف"؛ تيمقطن ،قصور تيط ، أقبلي ، اينغر بعين صالح بذلك نجد بعد إحصاء عدد القصور الموجودة والمذكورة في المصادر بالجهات الثلاثة لإقليم توات يزيد عن ثلاثة مائة وخمسون قصر.

يذكر "أبي عبد الله محمّد بن أحمد القيسي" الملقّب بـ :"ابن مليح" بعد ما خرج في رحلته نحو الشرق، قد مرّ بوادي تافلالت، ونزل ببلاد تبلبالت التي أحدقت بها جبال عالية من رملة دقيقة

[1] : بودة : وصفها "ابن بطوطة" (ت 779هـ/1377م) في رحلته بأنّها من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ، وتمرها كثير ليس بطيب، وتضمّ عدّة قصور أهمّها : زاوية سيدي حيدة؛ الغمارة؛ المنصور ....، ينظر إلى : محمّد بن عبد الله ابن بطوطة، تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح : (عبد الهادي النازي)، الرباط، أكاديمية المغربية، 1997م، ج04،ص 279.

[2] : عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص 77.

[3] : كرزيكة علي، **صناعة المخطوط الإسلامي بين القرنين 12 و13 الهجريين من خلال مخطوطات خزائن إقليم توات_دراسة تطبيقية في علم المخطوط**، أطروحة دكتوراه، علم الآثار، جامعة الجزائر 02 أبو قاسم سعد الله، 2017م/2018م، ص 18، ينظر إلى : محفوظ رموم، "توات الجغرافيا والمصطلح من خلال الموتوغرافيا المحلّية والأجنبية"، الحوار الفكري، ع : 12، جامعة أدرار، الجزائر، 2016م، ص ص 82 - 116.

[4] : الحاج بن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، تر : (أبو قاسم سعد الله)، أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1990م، ج02،ص 257؛ نقلا عن أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 10.

صافية وسار بعدها ليدخل مدشر بني أركان وهو أوّل منزلة من بلاد توات[1]؛ ثمّ انتقل لمدشرالدغامشة وبلاد كسطن لغاية وصوله لواكروت، وهي آخر منطقة تابعة لإقليم توات[2].

02. التضاريس و طبيعة المناخ:

يقع إقليم التواتي في عمق الصحراء الكبرى[3]؛ والرّمال هي المظهر التضاريسي الغالب[4]؛ إذا ما استثنينا مئات الواحات المنتشرة هنا وهناك، وتحيط به كثبان رملية عالية ومتحرّكة تتمثّل في العرق الغربي الكبير؛ وعرق الشاوش؛ وعرق الراوي ، أمّا من الجهة الشرقية؛ فيحيط به هضبة تادمايت أكبر الهضاب الصخرية الجبرية الصحراوية والتي ترتفع بـ : 836 متراً عن مستوى سطح البحر[5].

وبما أنّ التضاريس صورةً عاكسة للمناخ السائد؛ فإنّ الغالب هو مناخ صحراوي جاف، يتميّز بإرتفاع درة الحرارة صيفاً والبرودة شتاءاً، ممّا جعل المدى الحرارة[6] كبير شاسعاً، أمّا كمّية تساقط الأمطار؛ فتقّل عن 25 ملم سنوياً، وهذا ما يجعل السنة تتكوّن من فصلين فقط، أحدهم بارد يمتّد من شهر ديسمبر إلى شهر فبراير، أمّا باقي شهور السنة؛ فتتميّز بارتفاع درجة الحرارة التّي تتجاوز الخمسين درجة مئوية، ويرجع ذلك إلى تأثيرات الموقع الفلكي القريب من مدار السرطان، وهبوب الريّاح الحارّة المعروفة علمياً برياح السيكولوجي بـ : آريفي، وقد تركت تلك الظروف المناخية القاسية أثرها على الغطاء النباتي؛ فاقتصر على التشكيلات النباتية المتآلفة مع الجفاف وارتفاع الحرارة كـ : النخيل؛ والدرين؛ والصبّار؛ إضافةً لبعض الشجيرات الموسمية التي وجدت في مجاري الأودية مرتعاً خصباً؛ فتنمو بسيلانها وتختفي بجفافها والغابات _ رغم ندرتها لم تعدم وجوداً، بل هناك طرق

---

[1] : أبي عبد الله محمّد بن أحمد القيسي، انس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال سيد الأعاجم والأعاجب (1633/1630م)، تح : (محمد القاسي)، د.ب، مطبعة محمد الخامس الثقافة والجامعية، د.ط، 2000م، ص 28.

[2] : نفسه، ص 30.

[3] : ينـــظر إلى الملحق رقم (04)، ص 74.

[4] : أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 107.

[5] : يسمّى هذا النوع من الهضاب الصحراوية بالحمادات، ينظر إلى : محمّد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم الجزائر، دار الهدى، د.ط، 1998م، ص 12.

[6] : المدّ الحراري : الفرق بين أعلى درجة حرارة وأدنى درجة حرارة مسجلتين في السنة الواحدة، نفسه، ص 13.

ومسارات شقّت بين أشجارها، مثل : طريق الغابة بين آقلبي وعين صالح[1].تمثّل التضاريس الجغرافية دوراً هامّاً في توزيع السكّان، وحركة سير القوافل التّجارة نحو السودان الغربي، ممّا يساعد على تحليل عدّة معطيات اجتماعية واقتصادية، وعليه إذ نظرنا إلى المميّزات الجيولوجية، نلاحظ أنّ البنية الصخرية لمنطقة توات تتكوّن من صخور قديمة قديمة؛ وصخور الزمن الثاني؛ وصخور الزمن الرابع.

. 01 الصخور القديمة : تمثّل القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية، وهي ترجع إلى الزمن الأوّل، وتظهر هذه القاعدة أحياناً على السطح خصوصاً بمنطقة الخطوط الإنكسارية[2].

. 02 صخور الزمن الثاني : أو ما يسمّى بالعصر الكريتاسي الأوسط الذي يظهر بشكلٍ واسع على الجانب الشمالي والشمالي الغربي للخط الإنكساري الشرقي ما بين تيكولارين غرباً إلى شمال شرق منطقة لحمر[3].

. 03 صخور الزمن الرابع : فإنّها تظهر بالسبخة [4] الواقعة شرق تسفاوت وشرق شروين، وفي بعض النقاط المحدّدة جدّاً[5]كما توجد سلاسل جبلية ذات ارتفاع بسيط مثل : سلسلة كرزاز التي تمتّد غرب حوض الساورة مع عدد من السلاسل والكتل المتناثرة في القسم الشرقي من توات، والتي

---

[1] : عبد الرحمان بن عنتر التنلاني، الرّحلة الحجيّة لعام 1188م، مخطوط بخزانة قصر با عبد الله تيمي، أدرار، ص 03، نقلاً عن : أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 13.

[2]: زاجية هرباش، الوضع الإقتصادي في توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و13 هجريين و18 و19 ميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنساني والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1432هـ/1433هـ_ 2011م/2012م، ص295

3: زهير قزان ،**حاضرة توات المالكية أعلامها – نوازلها – خصائصها** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية ، تخصص فقه مالكي ، جامعة أحمد درارية ، أدرار ، 2011 ، ص 05

4: محمد صالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 44

5: السبخة : سبخات، وسباخ وسبخات، منطقة مستنقعة لا تصلح للزراعة لملوحيتها "أرض سبخة " ينظر : (أحمد مختار عمر)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط 01، 2008م، ص 1025

6: زهير قزان، المرجع السابق، ص 05

تتخلّلها عدداً من الأحواض والسهول، وتظهر حول السبخات وأحواض توات إلى جانب مناطق الكثبان الرملية التي تحتّل جانباً مهمّاً في الشكل العام للتضاريس[1].

.وبالنسبة للمناخ؛ فباعتبار إقليم توات واقعاً في النطاق الصحراوي؛ فمن البديهي أن يسوده المناخ الصحراوي، والذي يتميّز بالجفاف وارتفاع درجة الحرارة صيفاً وانخفاضها شتاءاً، إذ تصل درجات الحرارة لغاية 50 درجة مئوية.

أمّا كمّية التساقط؛ فتقّل عن 25 ملم سنوياً، وهذا ما يجعل السنة تتكوّن من فصلين فقط أحدهما بارد يمتّد من شهر ديسمبر إلى شهر فبراير، أمّا باقي شهور السنة؛ فتتميّز بارتفاع درجة الحرارة[2]، وتمتاز المنطقة بالرطوبة طوال السنة، ممّا يشجّع على إنتاج النبات المبكّر خلال السنة كلّها، وقد أثبتت التّجارب إمكانية حرث القمح مرتين في السنة صيفاً وشتاءاً، وتتراوح الرطوبة ما بين 27 % و30%[3] هاته المميّزات الناتجة عن تراكيب عناصره، مثل : الحرارة والتساقط، وكذا الرطوبة الجوّية قد تكون مرتبطة بعوامل مناخية عامّة نذكر منها : الإشعاع الشمسي والريّاح، وقد يرجع إلى عوامل محلّية كطبيعة التربة ودرجة الحرارة وقلّة الغطاء النباتي، بينما تتّصف الواحات بمناخ محلّي والذي تنخفض به درجة الحرارة نسبياً، وذلك بسبب نسيم البساتين الرطب.

أمّا الرياح من الجنوب حارة صيفاً والريح الجنوب شرقية في أسبوعي شهر مارس المسبّبة للزوابع الرملية، وهي المحرّكة لأمواج الكثبان الرملية، ومن أجل صدّها يستعمل السكّان الأفارق؛ أي الجريدة العربية، وهي أغصان النخيل، وتوضع على رؤوس الكثبان؛ فتشكلّ حاجزاً منيعاً يحول دون غزو الرمال لسكناتهم وبساتينهم[4].

---

[1] : محمدحوتية، المرجع السابق، ص 45.

[2] : أحمد أبو سعيد، المرجع السابق، ص 13.

[3] : أم هانئ طواهرية، **تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين الميلاديين 19 و20 المرأة التواتية أنموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص : التاريخ المغاربي عبر العصور، جامعة أدرار، 2014م، ص 14.

[3]: ميلود بلحاج ،**الحرف والفنون الشعبية بمنطقة توات – دراسة فنية تحليلية** ، مذكرة لنيل شهادة الدكتورة، تخصص الفنون الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2019م، ص 28.

03.أصـــــل التسمية.

لقد تباينت آراء المؤرّخين والرواة حول أصل التسمية توات، اختلفت تفسيراتهم؛ فمنهم من أوجد لها تفسيراً تاريخياً في حين ذهب البعض الآخر لإرجاع التسمية إلى المصطلح اللّغوي لكلمة "توات" نفسها، واتّفاق جلّهم على أنّها تقع في الجنوب الغربي لإيّالة الجزائر، وبها مجموعة من القصور والقرى المحصّنة[1] متوزّعة عبر جهاتها الثلاثة.

كثرت الروايات حول أصل تسمية توات نذكر منها :

أ. الرواية الأولى : يرى "محمّد بن عومر البدوي"؛ أنّ "عقبة بن نافع الفهري" بعد غزوه بلاد المغرب، وصل إلى ساحله أثناء عودته بواد نون؛ ودرعة؛ وسجلماسة[2]؛ وصل إلى غاية توات سنة 62هـ/681م؛ فسألهم عن هذه البلاد؛ أي توات، وعمّا يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل توالي لنفي العصاة الخارجين عن سلطته ؟ فأجابوه بأنّها تواتي[3]؛ فانطلق اللّسان بذلك وتغيّر اللّفظ على لسان العامّة لضرب من التخفيف[4].

ب. الرواية الثانية : بينما يشير "عبد الرحمان بن عبد الله السعدي" أصل التسمية تعود إلى القرن الثامن الهجري، حيث عزم سلطان مالي[5] "كنكن موسى" على الذّهاب للحجّ في

---

[1] : *A.G.P Martin, Les Oisés Sahariennes (Gourara – Touat - Tidikelete), Alger Et Paris, 1908, P 13.*

[2] : واد نون؛ ودرعة؛ وسجلماسة : هي مدن تقع في المغرب الأقصى، وتعدّ سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بإقليم توات، تأسّست سنة 140 هجري الموافق لـ : 757 ميلادي، ينظر إلى : أحمد أبا الصافي الجعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 07 هـ حتّى نهاية 13هـ، الجزائر، منشورات الحضارة، ط01، 2009م، ج01، ص 17.

[3] : البداوي محمّد، نقل الرواث عمن أبدع قصور توات، مخطوط أبا سيدي جعفر سيدي حيدة بودة، ص 05، نقلاً عن : الزهراء بوكرابيلة، المرجع السابق، ص ص 194 و204.

[4] : أحمد أبا الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 17.

[5] : مالي : تقع في بلاد السودان الغربي، يحدّها شرقاً بلاد يورنو، أمّا غرباً المحيط الأطلسي وشمالاً جبال البربر، وتنكوّن من خمسة أقاليم، وهي : مالي؛ غانا؛ وكوكو؛ والتكرور، سميّت مالي لأنّ معظم سكّانها الأوائل من الماندي ، وهي مرادفة لكلمة "ماندجو"، ومعناها المتكلّمون بلغة الماندي، يسمّون بلغة "البربر" "مليت"، وبالعربية "مليل"، وبلغة الهاوسا "بوانجارا"، ويشمل مالي الحالية أعالي السنغال الشرقي وشمال الفولتا العليا والداهومي والجنوب الأقصى من موريتانيا، ينظر إلى : عبد الرحيم القلاني في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط01، د.ت، ص 255.

قوّة عظيمة، ومشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات؛ فتخلّف هنا لك عدد كثير من أصحابه عن الركب بسبب وجع أصابعهم في أرجلهم من شدّة المشي يسمّى توات في لغتهم؛ فسمي الموضع باسم ذلك المرض "توات"[1].

ج. الروايـــــة الثالثة : أمّا في هذه الرواية التي تنسب إلى الرصاع؛ فيرى أنّ اسم "توات" يعود إلى قبيلة بربرية تنحدر من بطن القبائل الأمازيغية، وهي قبيلة الملثمين، حيث يقول : "والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم؛ لأنّهم يتمثّلون بلثام أزرق، ومنهم : طوائف، الطوراق، ولمتة، ولمتونة، والتوات "[2].

د. الرواية الرابعـــــة : ويشير "مـــارتان" كلمة توات تعود في أصولها إلى كلمة "*Ouasis*" الإغريقية وتعني "الواحة"، وهي مركّبة من مقطعين "*Ou*" الذي يتطابق مع "*Oua*" الأمازيغية، الذي مفرده يتّم بإضافة الحرف الأمازيغي "ث"؛ أي "T" لطرفي المفـــــردة "*Oua*" على لهجـــة زناتة؛ فتصـــبح "*Touat*" بمعنى الواحة في اللغة الأمازيغية[3].

هـ. الرواية الخامسة : أرجع الشيخ " محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق بن البكري" في كتابه :" درة الأقلام"؛ أنّ سبب التّسمية يعود إلى عصر بداية الدولة الموحدية[4]؛ فملوك هذه الدولة ما عرفوا هذه الأراضي إلاّ بكونها منطقة مليئة بالخيرات؛ فدأبوا على أخذ ما فيها من أتوات، ومن يومها غلب عليها الوصف، وهو يرى بأنّ هذه الرواية هي الأصّح، ولهذا اللّفظ مستند اللّغة العربية : التوت هو الفاكهة، والجمع أتوات[5]؛ وصار أهلها يعرفون

[1] : عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، باريس، مطبعة بردين مدينة أنجي، طبعة هوداس، 1898م، ص 07.

[2] : أبي عبد الله محمّد الأنصاري، فرهست الرصاع، تح وتع : (محمّد العنابي)، تونـــس، المكتـــبة العتيقة، ط01، 1967م، ص 127.

[3] : محفوظ رموم، المرجع السابق، ص ص 82 - 116.

[4] : الدولة الموحدية: تأسّست ببلاد المغرب الإسلامي من طرف "محمّد بن تومرت" الملقّب بـ : "المهدي"، وتمكّنت من السيطرة على مراكش والقضاء على الدولة المرابطية، ينظر إلى : علي محمّد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال الإفريقي، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط03، 2009م، ص 332.

[5] : أحمد أبا الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 18.

بأهل الإتاوات؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه لمكانه ، ثمّ سقطت أداة التعريف؛ فأصبحت توات[1].

و. الرواية الســـادسة : ومن أصحاب هذه الرواية الشيخ "مولاي أحمد" المعروف بـ : "الطاهر الإدريسي"؛ أنّ أصل كلمة توات مشتّقة من فعل "واتى؛ يواتي؛ تواتي"؛ أي بمعنى تناسب للعبادة؛ لأنّ كلّ من قدم إليها من المنقطعين تواتيهللعبادة؛ فلذلك سكنها أولياء الله [2] العارفين، وهو ما ذهب إليه "محمّد بن بابا حيدة" صاحب القول البسيط؛ فيقول : "وأعلم أنّ تواتنا هذه أرض جذب وقلّة مع بركة وقناعة وأمان وعافية، تتهيّأ فيها العبادة والديانة والرياضة والزهادة، ولذلك كثير فيها الأولياء والصالحون، أنّ أقّل فيها الرزق؛ فقد كثر فيها الأمان والإيمان ومن سعادة الأمور "[3].

04-التركيبة الاجتمـــــاعية لسكان منطقة توات.

يعدّ إقليم توات واحداً من الأقاليم الضاربة في أعماق التاريخ، ويرجع تاريخ عمارته إلى ما قبل الإسلام، حيث كان يسمّى بـ : "الصحراء القبلية" ثمّ كثرت عمارته بعد جفاف نهر غير في غضون القرن الرابع الهجري، وهو ما أكّده الباحث الفرنسي "*Barnard*" على حسب الدكتور : "أحمد أبا الصافي جعفري"؛ بأنّ عمارة الإقليم بدأت قبل 50 سنة قبل الميلاد[4].

---

[1] : محمّد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر، د.ت، ص 16، نقلاً عن : بقادر عبد القادر، جهود علماء توات في الدرس اللّغوي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ــ دراسة في الأنماط والأشكال، مجلّـــة الأثر، ع : 19، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، جانفي 2014م، ص ص 87 و97، ينظر كذلك : أحمد أبا الصافي جعفري، الحركة ...، المرجع السابق، ص 19.

[2] : سالم بوتدارة، **الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلّية**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015م/2016م، ص 27.

[3] : محمّد بابا حيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح : (فرج محمود فرج)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1977م، ص 11.

[4] : أحمد أبا الصافي جعفري، الحركة ....، المرجع السابق، ص 19.

ظلّ إقليم توات مفتوحاً أمام هجرات القبائل المختلفة وعبر فترات متعاقبة، وفي ظروف مختلفة منذ الفتح الإسلامي للمغرب العربي، وحتّى القرن الثامن عشر الميلادي، وبعد أن استقرّت هذه القبائل في المدن والقصور التي بنوها ،بدأ المجتمع التواتي يتشكّل ببطء[1].

أ. البـــــربر : يعود أصل سكان البربر الذين استوطنوا نوميديا إلىالسبئييناالذين جاؤوا مع مالك الإفريقي ملك اليمن، وما زالوا يحملون اسمه ويسمّون صنهاجة؛ وزناتة؛ ومصمودة؛ وهوارة؛ وغمارة، ومنهم خرجت سنة مائة سلالة من البرابرة وإليهم يرجع أهل أغلب إفريقيا كلّهم[2]. ويذكر "ابن خلدون"؛ أنّ قبائل مطغرة البربرية نزلوا بقصور تمنطيط واغترسوا الأشجار والنخيل على طريقة العرب[3].

اعتبر "ابن حوقل" البربر سكّان المغرب قبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على اخرهم لكثرة بطونهم، وتشعّب أفخاذهم وقبائلهم وتوغّلهم في البراري وتبدّدهم في الصحاري وجميعهم من ولد جالوت إلاّ اليسير منهم[4]؛ وقد عمّرت إقليم توات قبائل الصنهاجيين؛ والتواتيين؛ واللمتونيين؛ والزناتيين هؤلاء جعلوا من المنطقة واحات يقصدها أصحاب القوافل العابرة للصحراء، حيث تتزوّد بالماء والتّمر لمواصلة رحلتها، كما جعلوها نقطة تجمّع قوافل الشمال التي يقصدها أسواق السودان الغربي[5].

ب. العـــرب : كان وصول العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وتعاليمه وممارسة التّجارة؛ فكان أوّلهم دخول عرب المعقل[6]؛ بحيث كانوا رعاة إبل في مناطق شمال غرب الصحراء يحكم موقعها الجغرافي؛ فقد استغلّوا الخلافات السياسية الداخلية لدولة "بني مرين"، والصراع المحلّي بين القبائل الزناتية والصنهاجية في إقليم توات، ليتوطّنوا شيئاً فشيئاً بالمنطقة،

[1] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 12.

[2] : مارمول كاربخال، إفـــريقيا، تر : (محمّد حجي ومحمّد زنيبر وآخرون)، المغرب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د.ط، 1984م، ج01، ص ص 89 - 90.

[3] : عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص 78.

[4] : أبي قاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، لبنان، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، د.ط، 1992م، ص 97.

[5] : محفوظ مرموم، المرجع السابق، ص ص 82 - 116.

[6] : عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ج06، ص 78.

كما هاجر في القرن السابع عشر ميلادي إلى المنطقة بعض الأسر القادمةمن تافيلالت وهي تعرف بـ : "الشرفاء"[1].

ج. الزنـــــوج : وفد الأفارقة إلى منطقة توات عبر فترات متوالية؛ فمنهم من كانت هجرتهم اختيارية نتيجة تدهوّر الأوضاع الأمنية والإقتصادية وحتّى الاجتماعية في بلاد السودان الغربي، ومنهم من تمّ جلبهم وشرائهم من سوق العبيد[2].

يستشهد "وليام شالر" في كتابه : "مذكرات وليام شالر" بـ : "القبطان ليون" في وصفه لسكان الصحراء؛ بأنّه لم يرى قط جنساً من الرّجال أجمل من التوارق، وهم يحتلّون ذلك البلد الوسيع الذي يمتّد بين فزان والسودان وتمبكتو والمغرب الأقصى والحدود الجنوبية لبلاد البربر[3].

وبعد امتزاج وتعايش هذه العناصر الثلاثة على مرّ الزمن، تشكّل المجتمع التواتي في أربع طبقات، وهي كالتالي :

1. طبقة الأشراف : وهي الطبقة الأولى في المجتمع التواتي، وهؤلاء هم الذين ورثوا هذا اللّقب بدعوى انحدارهم من أجدادهم الأوائل الذين ينتسبون للأسرة العلوية[4]؛ ومعظمهم قدم من من المغرب الأقصى، واستقرّوا بتوات؛ وباعتبارهم من أهل البيت فهم حماة الدين وأصحاب الحدائق والبساتين والكلّ يطلب رضاهم[5].

[1] : محفوظ رموم، المرجع السابق، ص ص 82 - 116.

[2] : مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، الجـــزائر، دار السبيل، ط01، 2000م، ص ص 46 - 47.

[3] : وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م/1824م)، تع : (إسماعيل العربي)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1982م، ص 123.

[4] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 13.

[5] : عبد الحميد الجنيدي، "إقليم توات وأهميته في التجارة الصحراوية"، المجلّة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، ع : 05، جامعة ابن خلدون، ملحقة قصر الشلالة، تيارت، الجزائر، (ماي 2018م)، ص ص 37 و50، ينظر : محمد باي بلعالم ، المرجع السابق، ص ص 263 - 264.

2. طبقة الأحـــرار : هي الطبقة الثانية وأفرادها كما هوا واضح من تسميتهم، ينحدرون من آباء وأمّهات من البربر والعرب و الخلص ، وغالبية هذه الطبقة تشتغل في التّجارة، وتمتلك الجواري اللاتي أنجبنّ منهنّ نصف أحرار تشكّلت منهم طبقة الثالثة[1].

3. طبقـــة نصف الأحرار : ويطلق عليهم اسم الحرثانيين، وكانوا يعملون في الحرف والأشغال التي يأبى رجال طبقة الأحرار العمل بها.

4. طبقة العبيد : وهي الطبقة الدنيا في السلم الطبقي، وهم عبيد من رجال ونساء، وقد تكاثرت أعدادهم خاصةً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين؛ فلم تخلوا مدينة أو قصر منهم، وكانوا يقومون بالأعمال الشاقّة ك : حفر الفقاقير المائية؛ والزراعة والرّعي[2].

[1]: فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 13.

[2] : نفسه، ص 35.

خلاصة الفصل الأوّل :

من خلال ما سبق عرضه ضمن عناصر الفصل الأوّل؛ يتبيّن لنا مدى التنوّع الجغرافي والثّراء التاريخي لمناطق إقليم توات وقصورها، ممّا حتّم على الجغرافيين والمؤرّخيين تقسيمه إلى ثلاث جيهات متباينة، وهي "تيكوارين" (القورارة)، ومنطقة توات الوسطى، ومنطقة "تيدكلت"، كما أنّ كلّ واحدة منها ضمّت بين جنباتها مدناً وقصوراً مزدهرة، حطّت بها الركبان عبر تاريخ الصحراء السحيق، وخطت كتب الرّحالة القدماء كمناطق جذب للعابرين والوافدين مستفيدة من وجود مناخي.

ولعلّ ذلك التميّز للقطر التواتي وموقعه وخصائصه الطبيعية، هو الباعث على الجدل المتناهي بشأن اشكالته حمل الإقليم اسم "توات"، حيث تنوّعت الروايات وتعدّدت التفسيرات، ما بين اللّغة والإصطلاح، وإن كانت محصّلة نقد تلك الروايات، قد أوصلتنا إلى نتيجة مؤدّاها؛ أنّ التسمية مرتبطة بالقبائل الزناتية التي اخطت قصور الإقليم، وخلدت عبورها من خلال أسماء دالّة عليها، ومنه استنتجنا؛ المكوّنات والأجزاء، كما أنّ الأمر الهام الدّال على عمق إقليم توات اسماً ومسمّى، وورود في أمّهات المصادر التاريخية، كعبر "ابن خلدون" ووصف "الوزان"، ورحلة "ابن بطوطة" وغيرها، مقروناً بتفاصيل وجزيئات عن أهّم القصور ومميّزاتها الجغرافية والاجتماعية.

الفصل الثاني :

توات مـــــــركز للقوافل التجارية.

الفصل الثاني : تــوات مركز للقـوافل التجــارية.

1. أهمّية تـــوات في تجارة الصحـــراء._____
2. عـــوامل ازدهار التجـــارة بتـــوات._____
3. أهـــم الطرق التجارية المربـــوطة بإقليم توات._____

الفصل الثاني :

توات مـــــركز للقوافل التجارية.

تجارة توات خلال العهد العثماني كانت تشكّل جزءاً مهمّاً من الشبكة التجارية التي ربطت بين مختلف مناطق العالم الإسلامي، وخاصّةً بين المغرب العربي وبلاد السودان غرب إفريقيا، منطقة توات التي تقع في الصحراء الجزائرية، كانت نقطةَ التقاء رئيسية للقوافل التجارية التي تنقل السلع من وإلى مناطق مختلفة.

01. أهمّية تـــــوات في تجارة الصحراء.

تكمن أهمّية إقليم توات على الخصوص في وقوعه على طرف القوافل التّجارية المتّجهة من الشمال نحو بلاد السودان الغربي، ومن هذا الإقليم نحو الشمال إلى الجزائر؛ والمغرب؛ وتونس وحتّى طرابلس، لذلك فإنّ إقليم توات يمثّل مركزاً هامّاً للتبادل التجاري بين بضائع الشمال بسلع الجنوب ومنتجات الإقليم ذاته[1].

وكانت السلع التواتية في مجملها عبارةً عن الملابس المطرّزة؛ والأسلحة ؛ والتمور؛ والحناء، وكانوا يبادلونها بالعبيد والتّبغ؛ والقطن وغيره، وكانت هاته السلع تعرض للبيع في أسواق توات[2].

لم تخل مقاطعة أو قصر من الأسواق لأهميتها في تنشيط حركة البيع والنشر، وتقام الأسواق في يومٍ معيّن مثلما هو الشأن في سوق "أولاد سعيد" بـ : تيميمون، وذلك كلّ يوم الخميس إلى جانب السوق "البراني"؛ أي خارج القصر الذي يستقبل الأجانب، في حين أنّ سوق "تيميمون" يستقبل زواره كلّ يوم الإثنين والجمعة أين تباع فيه السلع المهمّة، كـ: الملح؛ والفلفل؛ والبلاغي المغربية؛ والأحذية الشرقية؛ والتمور؛ والشاي؛ والشموع القادمة من المغرب، أمّا في أدرار فسوقها كان يقام بشكلٍ دائم دون تحديد يوم معيّن[3].

[1] : محمد باي بعالم، المرجع السابق، ص 45.

[2] : عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 37.

[3] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 249.

يذكر صاحب نسيم النفخات ... ويقرب من تمنطيط بنحو ثمانية أو عشرة أميال أحد مراكز توات الكبير، يسمّى "تيمي" كانت في القدم قبل الإستعمار في محل الحل و العقدة ؛ لأنّ القيادة العظيمة كانت بها أسواق يقصدها التجّار من كلّ مكان للبيع والشراء لجميع السلع المتنوّعة ولا زالت اليوم هي المراكز الكبيرة للحكم و التجارة و القضاء و بها كثير من الأولياء الصالحين[1].

بدأت الأهمّية التجارية لتوات منذ عهود قديمة، وهو ما تؤكّده المصادر والشواهد الأثرية والأبحاث[2] التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشّك؛ أنّ الصحراء الكبرى كانت دائماً محل اختراق تجاري منذ العهود القرطاجية والرومانية القديمة بالمغرب، وقد لعبت القبائل الأمازيغية في الواحات الصحراوية بما فيها توات دور الوسيط التجاري النشط بين بلاد السودان والمراكز التجارية في الشمال، ومن هذه المراكز كانت تسير القوافل محمّلة بالثياب؛ والمنسوجات؛ والملح؛ وبضائع أخرى من جنوب أوروبا وغرب آسيا إلى بلاد السودان، وكانت تعود بالذّهب والعبيد والعاج ومنتجات أخرى.

ولم تتوقّف الأهمّية التجارية للمنطقة بعد دخول الإسلام، بل على العكس من ذلك، تواصلت بوتيرة أقوى خاصةً مع قيام الدولتين الصفرية بسجلماسة والإباضية بتهرت، وازدهار علاقاتهما التجارية مع السودان الغربي[3]؛ واستمرار قيام المماليك في الشمال والجنوب، ووقوع المنطقة في مقترن الطرق بينهما، وزاد من أهميّتها قيام دولة المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي، وسقوط مملكة غاناً؛ وبالتالي تراجع الطريق التجاري الصحراوي الغربي الرابط بين مراكش وغانا، والمعروف بطريق لمتونة، وتحوّل الأنظار إلى وسط الصحراء خاصةً بعد قيام مملكة مالي في القرن السابع هجري الثالث

[1] : خير الدين سعيدي، **نسيم النفخات توات والعلماء التقات _ دراسة وتحقيق مخطوط أحمد الطاهر الإدريسي**، مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2013م، ص 216.

[2] : فريدة بن عزوز، أبحاث تاديوشلفيتسكي في فجر العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء الكبرى، مجلّة التاريخ العربي، ع : 20، مجلّة علمية محكمّة بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، 2001(م)، ص ص 275 – 290.

[3] : محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2007م، ص 96.

عشر ميلادي، وبروز مدينة تمبكتو كعاصمة تجارية في الضفّة الجنوبية، ممّا أصبح لزاماً على القوافل المتّجهة جنوباً المرور بتوات[1].

ولابّد الإشارة بعد ذلك إلى الدور المبكّر الذي لعبه التجّار التواتيّون في التّجارة داخل المنطقة وخارجها، ولم يكن الإهتمام بتوات مقتصراً على اليهود، بل تعداه إلى الأوروبيين الذين حاولوا اكتشاف القارّة السمراء ابتداءاً من القرن 09هـ/15م، والوصول إلى مصادر ذهب السودان انطلاقاً من الصحراء عامّةً، ون توات خاصّةً؛ لأنّها مكان تجتمع فيه القوافل القادمة من مختلف الجهات، وبالضبط مدينة "تمنطيط" والتي منها ينطلقون إلى بلاد السودان حسب "ابن خلدون"[2].

ويأتي في مقدّمة الأوروبيين التّجار الإيطاليّون خاصّةً الجنوبيّون منهم، وقد تمكّن التّاجر الجنوبي "أنطونيو مالفانتي" (*Antonio Malfanté*)، ومن الوصول إلى توات سنة 850هـ/1447م، ثمّ العودة منها جنوة بعد أن أقام بها سنتين تقريباً، وورد على لسانه أنّ مضيفه في توات كان تاجراً مغربياً غنّيأن عاش في بلاد السودان لمدّة 14 سنة، وصرّح له بأنّه جمع ثروة تصل إلى مائة ألف دينار؛ أي حوالي 425 كلغ من الذّهب، ولقد جمع "مالفانتي" معلومات كبيرة حول توات، والمناطق القريبة منها عامّة، وعن تجارة الذّهب والتّجارة الصحراوية خاصةً، وتمكّن من إرسال رسالة من توات إلى محلّه التجاري في ..[3]؛ وهذا دليلاً على انتظام القوافل التجارية.

ولم يكن "مالفانتي" الوحيد من أشار إلى هاته الأهمّية، بل حذا حذوّه الرّحالة الذين زاروا المنطقة بعده، ومنهم الجغرافي الشهير "الحسن الوزان" عندما زار إقليم توات عام 917هـ/1551م وأثناء حديثه عن "تينجورراين" في كتابه : "وصف إفريقيا"، يصف سكّانها بالأغنياء؛ وأنّهم يذهبون بسلعهم بكثرة لبلاد السودان ثمّ يذكر أنّه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجّار بلاد السودان، ثمّ يذكر أنّه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجّار بلاد السودان، وتقام هناك أسواقٌ كبيرة، وذكر لنا بعض

[1] : مبارك جعفري وعبو الطاهر، منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من 09هـ/13هـ_15م إلى 19م، الملتقى الدولي السابع "التجارة والتجار عبر التاريخ، تنظيم الجمعية التونسية المتوسّطية للدراسات التاريخية والاجتماعية والإقتصادية بمدينة المنشير الجمهورية الدونسية"، أيّام 11 و13 ديسمبر 2014م، ص 03.

[2] : ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 77.

[3] : مبارك جعفري وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص 04.

السلع التي تباع هناك كـ : اللحوم، وقال أنّ أسعارها مرتفعة، ولهذا تراهم يقول : "يشترون لحم الجمال والشحم المملّح الذي يأتي به تجّار فاس وتلمسان وتحصل لهم منه أرباحٌ كثيرة"[1]؛ أمّا "أبو سالم العياشي"؛ فقد اتّخذ طريق توات في سفره إلى الحجّ رغم وجود طريق بنفس المستوى شمالاً أقرب من طريق توات، لكنّ فضل هذا الأخير مع حجيج بلاده لتوفّره على الماء والكلأ ولكثرة الواحات به[2]؛ ممّا يتوفّر محطّات منتظمة في الطريق للراحة وهي أمور أساسية للركب[3]؛ ويصف لنا "العياشي" الحياة التّجارية بالمنطقة خلال القرن 11هـ/17م، وبالضبط سنة 1072م/1661م بالمزدهرة؛ وأنّ أهل تسابيت أحد قصور توات أصحاب تجارة، كما أنّ بلاد توات هي مجمّع القوافل من بلاد السودان الغربي، وتقام هناك أسواق كبيرة عند قدوم القوافل التّجارية[4].

في القرن التاسع عشر، ذكر "بارت" (*Barth*)؛ أنّ توات بامتدادها الطبيعي إلى الشمال الغربي "تافيلالت" و"سجلماسة" تشكّل الوسيط الطبيعي بين أراضيها الخصبة والشمال وعندما يتعلّق الأمر بـ : "تمبكتو" وولاته كلّ هذه المنطقة تشكّل خزّاناً تجارياً كبيراً طالما كان التجّار يعلمون على إرساء علاقات تبادل بين مختلف هذه المراكز[5].

كما يذكر أنّه شاهد قافلةً كبيرة من توات، وهي تغادر "تمبكتو" في شهر محرّم 1270هـ/ أكتوبر سنة 1853م، ويقول الكولونيل "ميرشر" في تقرير بعنوان : " مهمّة غدامس" عن الموقع الإستراتيجي لتوات، لو ألقينا نظرةً على خارطة إفريقيا، نلاحظ أنّ الطريق الطبيعية للجزائر نحو بلاد السودان تمّر عبر أرخبيل واحات توات سواء كان المقصد "تمبكتو" أو كانوا أو أي مركز تجاري ببلاد الهوسا، وكان هذا الطريق كثيف الحركة منذ العصر الوسيط، وفي نفس السياق يقول "بول سولايلي" في تقرير رفعه إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874م عن الموقع المتميّز لواحات توات خاصةً "عين صالح" لو نقيس المسافة بين توات الكبرى والمراكز التجارية بالمناطق الرئيسية الأربع،

[1] : حسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 133 - 134.

[2] : عبد الله بن محمّد العياشي، المصدر السابق، ص 80.

[3] : مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 25.

[4] : عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 80.

[5] *: Henri Barth (1821_1865), Voyages Et Découvertes Dans L'afriqueSeptenTrionale Et Centrale Pendant Les Années 1849 A 1855, T4, Paris, 1863, P 109.*

نجدها متساوية إلى حدّ يثير الإستغراب، حيث المسافة بينها وبين الجزائر إلى الشمال تساوي المسافة بينها وبين موقادور إلى العرب[1].

وبالتالي؛ فإنّ هذا الموقع ساهم إلى حدٍّ كبير في أن تكون منطقة توات ليس مركزاً تجارياً فحسب، بل نقطة عبور هامّة للقوافل التّجارية العابرة للصحراء في الإتّجاهين، تمثّلت أهمّية توات في تنوّع بضاعها وانفتاحها على أسواق متعدّدة في الشمال والجنوب، وهي الميزة التي كانت سبب إزدهارها واستمرارها كمركز تجاري على الرغم من الأزمات السياسية أو الإقتصادية التي كانت تعصف أحياناً بهذه الدولة أو تلك من دول الجوار. وقد ساعد على هذاالإنفتاح والتنوّع موقع توات واتّساع رقعتها الجغرافية التي كانت كلّ جهة منها تتّصل بأسواق معيّنة؛ فقصور شمال كورارة، كانت تتّصل عبر مسالك مباشرةً بالجنوب الوهراني، بينما قصورها الجنوبية تربط بأخرى مباشرةً مع فجيج وتافيلالت، أمّا قصور "تيدكلت"؛ فكانت تتّصل مباشرةً بمراكز السودان جنوباً وغدامس وطرابلس شرقاً[2].

ولقد استغلّ أهل توات موقع إقليمهم الذي يتوسّط أسواق الشمال والجنوب؛ فاشتغل الكثير منهم كتجّار وسطاء في سلع هذه الأسواق، في الوقت الذي صارت فيه توات نقطةً هامّة للإلتقاء والتجمّع بين التجّار القادمين من هنا وهناك مع قوافلهم محمّلة بالسلع المتنوّعة للتبادل عليها، ونظراً لما اشتهرت به أسواق توات من رخص وتنوّع السلع وانتظام خروج ودخول القوافل، تحوّلت إلى سوق تجارية مربحة بعد أن كانت نقطة عبور في الصحراء يقصدها التّجار من كلّ حدب وصوب[3].

وقد جذبت أيضاً قوافل الحجّاج العابرة للصحراء في طريقها إلى الأراضي الحجازية، حيث كانت هذه القوافل تنطلق من مدن سجلماسة وتافيلالت، شنقيط كلّ عام، وتسلك أثناء سيرها نحو الشرق الطريق المار داخل توات، وغالباً ما تشتري هذه القوافل حاجتها من المدن من الأسواق

[1] : مبارك جعفري وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص ص 06 - 07.

[2] : محمّد أعفيف، واحات توات عبر التاريخ، مجال التواصل والتعايش، أشغال الأيام الوطنية 22 الجمعية المغربية للبحث التاريخي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، أفريل 2015م، ص ص 75 - 76، نقلاً عن : عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص ص 37 - 50.

[3] : عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص ص 37 - 50.

التواتية، وتقوم بصرف الذّهب بها، بحيث كان الصرف فيها أرخص من غيرها من الأسواق[1]؛ حيث يقول في ذلك الرّحالة "العياشي" : " ... أنّ كثير من الحجّاج لما غلا[2] صرف الذّهب في تافيلالت، أخذوا الصرف إلى توات؛ أنّ الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزّرع والتّمر ...، ويوجد فيها البضائع والسلع التي تجلب من هناك "السودان" شيء كثير ... ".

واكتسب إقليم توات أهمّية إقتصادية بالغة من القرن 14م حتّى القرن 18م، وهناك عوامل كثيرة ساهمت في إعطاء الإقليم مكانةً من ازدهار اقتصادي دام عدّة قرون قبل أن تعرف تحوّلاً في نهاية القرن 18م، ويمكن أن نجمل هذه المكانة الإقتصادية في العناصر التالية :

- احتلال الإقليم التواتي لمركز متوسّطي شمال الصحراء، جعله على اتّصال بعدد من الموانئ على ساحل البحر المتوسّط والمدن الداخلية.
- الوضع السياسي المستقّر لإقليم توات المتمثّل في عدم خضوعه رسمياً منذ القرن 13م وحتّى آواخر القرن 16 لأيّة سلطة في الشمال إفريقيا، ممّا سهّل اتّصاله وتعامله التّجاري مع مختلف الدول التي تعاقبت على الحكم من المغرب الأقصى إلى ليبيا[3].
- توات بلد زراعي تساهم بمنتوجاتها في مبادلاتها التّجارية؛ فقد قامت تجارةً إقليمية بين الواحات وقبائل الرّحل على أساس مقايضة فائض منتوجات الطرفين، كما ساهم الرّحل في ترويج بضائع أخرى بين توات والأسواق الشمالية التي يقصد بها أثناء ترحالهم.
- كان إقليم توات مجمّع وملتقى لقبائل من مختلف أرجاء المغرب الكبير من ليبيا إلى المغرب مروراً بالجزائر، يقصدها الطوراق من النيجر، كما يقصد ذو منيع من المغرب أو الشعانبة[4]؛ من الجزائر، بينما كان وضعه في تجارة شمال غرب إفريقيا ومسالكها أكثر شمولية وإشعاعاً[5].

---

[1] : عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص ص 37 – 50.

[2] : عبد الله بن محمّد العياشي، المصدر السابق، ص 80.

[3] : عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص ص 37 – 50.

[4] : الشعانبة : بطن من قبيلة علاق العربية العدنانية، من عوف من سليم بن منصور، كانوا يقيمون بإفريقيا الشمالية، توافد قسم منهم من متليليعلى توات، واستقرّوا في تيميمون وزاوية الدباغ، بوعلي ... الخ، ينظر إلى : أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 05.

[5] : محمّد أعفيف، المرجع السابق، ص 67.

- مشاركة التّجار التواتيين في التّجارة، حيث لم تكن توات معبر للقوافل فحسب، بل كانت مركزاً تتجمّع فيه البضائع من الشمال والجنوب قبل أن توزّع من جديد؛ فبعض القوافل كانت مركز تتجمّع فيه البضائع من الشمال والجنوب قبل أن توزّع من جديد،؛ فبعض القوافل كانت تكتفي بنقل بضائعها إلى توات، حيث تستبدلها ببضائع أخرى، وتعود من حيث أتت[1].
- بعض التّجار التواتين كانوا يستأجرون الوسطاء للسير ببضائعهم إلى أسواق "تمبكتو"، وكان مثل هذا يتّم طبقاً لشروط توقيع بين الطرفين تحدّد فيها سعر البيع وعمولة الوسيط ويصادق عليه من طرف قاضي المدينة[2].
- توفّر الأمن سواء بالنسبة للأشخاص أو القوافل التّجارية التي جنّدت لها قبائل تعمل على حمايتها من لصوص الطرقات.
- كثرة قصور الإقليم، ممّا يوفّر الزّاد والرّاحة وسط الصحراء القاحلة، وتوفّر مياه بفضل الفقاقير[3] المتوفّرة بشكلٍ كبيرة بالإقليم، وتسمّى أيضاً بـ : "الفجارات" هي تقنية ري معروفة في عموم بلدان الشمال الإفريقي والصحراء، وهي تقنية لاستغلال المياه الجوفية[4].

ولم يقتصر دور إقليم توات في تجارة الصحراء على أنّه محطّة لاستقبال القوافل التجارية المارّة بالصحراء؛ فقد كان الإقليم يساهم بقوافله في تجارة الصحراء؛ فقد جرت العادة أن تخرج في كلّ عام قافلتان كبيرتان تتّجهان إلى أسواق مدينة "تمبكتو"، إذا كانت تخرج قافلتان كبيرتان تتّجهان إلى أسواق "تمبكتو" الأولى في النصف الأوّل من السنة والثانية في النصف الثاني من نفس السنة، وكان

[1] : محمّد أعفيف، المرجع السابق، ص 74.

[2] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 91.

[3] : الفقارة :هي عبارة عن قناة مائية تحت الأرض بالصحراء الجزائرية، وهي مأخوذة من كلمة "فقر" التي تعني "*Faguer*"، وذكر "*Martin*"؛ أنّ أصل الفقارة مأخوذة من "فور" "*Fouar*"؛ أي جريان وفقير "*Faguir*" جمع فقائر "*Faguair*"؛ أي خروج الماء من فم القناة، ينظر إلى :

Martin, Oasis, Op_Cit, P 235.

ينظر إلى الملحق رقم (05)، ص 75.

[4] : محمّد أعفيف، المرجع نفسه، ص 68.

يجـري تجمّـع أصـحاب القوافـل في ضـواحي قصـر "حاسـي أودكـار" بمقاطعـة قبلـي التابعـة لمنطقـة تيديكات[1].

وهنـاك مـن العلمـاء مـن مـارس التّجـارة انطلاقـاً مـن الحاجـة لتـأمين مكاسـب ونفقـات الزوايـا ومدارس العلم التي قاموا بإنشائها، ويتعلّق الأمر بالشيخ " علي بن حنيفي الأنصاري" (ت 111هـ/ 1703م) صاحب الزاوية المشهورة بأجلو ، حيث ملك قافلة وصل تعدادها 900 جمل كلّها تتاجر في بلاد السودان تدر أرباحاً تتّفق على طلبة الزاوية وعابري السبيل في توات؛ والأمر كذلك ينطبق على الشيخ "أبي النوار عبد الكريم التنتلاني " (ت 1068هـ/1755م) الذي اشتهر بتجارته للتمور بين توات وإفريقيا جنوب الصحراء إلى جانب كونه فقيهاً وعالم، ومن هنا يتّضح لنا أنّ الكثير من فقهـاء وعلمـاء تـوات مارسـوا النشـاط التجـاري الـدعوي معاً؛ فهـم بمثابـة سـفراء إقليـم تـوات بفضـل معـاملاتهم وعلاقـاتهم المشبّعة بـالروح الإسـلامية والأخـلاق، حيـث جـازوا إعجـاب ثقـة سكّـان بـلاد السودان؛ فراح هؤلاء يقلّدونهم في سلوكاتهم ومعاملاتهم المستمّدة من تعاليم الدّين الحنيف، ممّا كان له الدور الفعّال في انتشار الإسلام في تلك البلاد[2].

وكانـت القوافـل التّجاريـة تنطلـق مـن قصـور تـوات محمّلـة بمجموعـة مـن السـلع كـ : التّمـور؛ والقماش؛ والمنسوجات إلى جانب الكتب التي راحت تجارتها، وأصبحت من السلع الأساسية وغالية الأثمان في حمولة القافلة التّجارية، خاصة بعدما كانت تدره من أرباح السلع الأخرى، وهذا ما يشهد عليه الكمّ الهائل من المخطوطات الموجودة في خزائن "تمبكتو" وولاّته و"شنقيط"، وتوات والتي تشكّل أبـرز جوانـب الإرث الحضـاري لهـذه الحواضـر الصـحراوية، وهـي في الغالـب مـن تـأليف علمـاء تلـك المناطق[3].

[1] : عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص ص 37 – 50.

[2] : نفســه، ص ص 37 – 50.

[3] : أحمد مولاي، التّجارة والرّحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ما بين القرنين 11 و12هـ/ 17 و18م، مجلّة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع : 05، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا،(2015م)، ص ص 43 – 63.

02. عـــــوامل ازدهار التجـــــارة بتوات.

هناك عوامل كثيرة ساهمت في ازدهار التّجارة بتوات، يمكن أن نذكر منها :

1. موقعها الإستراتيجي الذي يتوسّط الصحراء، ويربطها بمختلف الجهات الشمال بالجنوب والشرق بالغرب.
2. وجود الماء في منطقة عذبة ، محاطةً بالعروق والكثبان الرملية، ممّا يجعل إمكانية تجاوزها من طرف القوافل من دون هذه الخاصية أمراً مستحيلاً.
3. كثرة قصورها وامتدادها الجغرافي "أكثر من أربعة عشر يوماً تقريباً المسافة بين أبعادها، ممّا يوفّر للتّجارة بيئة متّصلة يسهل فيها الحصول على الماء والزّاد وسط صحراء قاحلة "[1].
4. وجود عدد كبير من السكّان، وتنوّع أجناسهم، ممّا يوفّر للتّجار سوق استهلاكية واسعة ومريحة بتوفّرها على الأمن، خاصّةً بالنسبة للأجانب الذين يجدون فيها كل احترام وعناية، وخير دليل على ذلك، وصول التّاجر الجنوبي لها، وبقائه بها سنتين ثمّ عودته منها سالماً دون أن يلحق به أذى، ويؤكّد هذا الطرح "الحسن الوزان" بقوله عن أهل توات : " وكثير ما يتقاتلون بينهم ويتطاحنون؛ إلاّ أنّهم لا يمسّون الغرباء بسوء "[2].
5. وجود عدد كبير من التّجار وانتشار النشاط التّجاري بين السكّان، وتذكر بعض المصادر أنّه كان في "تمبكتو" في سنة 1287هـ/1870م حوالي ستمائة تاجر تواتي مقابل خمسة وعشرين تاجر من تافيلالت، وكان أغلب السكان أقبلي من الرّجال قد سافروا إلى السودان مرّة واحدة على الأقّل[3].

---

[1] : مبارك جعفري وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص 07.

[2] : الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 134.

[3] : محمد أعفيف، **مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب الغربي توات في القرن 19 م** ،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، شعبة : التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمّد الخامس، الرباط، 1982م، ص 143.

6. وجود شبكة من الطرق التّجارية تربط المنطقة بباقي المناطق، ومن مختلف الجهات وغالبيتها عبارةً عن مجاري الأودية الجافّة[1] التي بها ينابيع توفّر الماء لسالكي الصحراء، وتمتاز بمتانة ترتيبها، ممّا يساعد على السير، وتضمّ معالم يسهّل أتباعها، كما تنموا على جنابتها الأعشاب والحشائش، ممّا يوفّر للإبل غذائها.

03. أهـــم الطرق التجارية المربوطـــة بإقليم توات.

يقع إقليم توات في موقع إستراتيجي ممتاز، سمح له بالإتّصال بجميع المناطق سواء كانت شرقية أو غربية والتي تلتقي في توات، ومنها تتّجه إلى مراكز تجارة الذّهب، والرقيق ومختلف العروض؛ فهي ترسم بموقعها شكل مثلّث ضلعاه في الشرق والغرب، ورأسه في توات، ومنه تنطلق الطرق التي تسلكها القوافل التجارية؛ فهي تتوفّر على مصادر المياه لأعدادها الكبيرة والكلأ للدواب التي تحمل سلعها وأسباب الرّاحة التي يبخل بها أهل توات عن كلّ قاصد بها ناهيك عن قربها من المناطق المجاورة لها؛ فهي لا يفصلها عن سلجماسة جوفاً سوى ثلاثة عشر يوماً، وعشرون يوماً غرباً لأوّل بلاد السودان[2]؛ ونفس المسافة تفصلها عن كلّ من غدامس وبلاد الزاب شرقاً، أمّا باتّجاه "أولاد عيسى" بأقصى شمال غرب "قورارة"؛ فإنّه لا يفصلها عنها سوى مدّة أسبوع إسراعاً لبلد الأبيض سيد الشيخ؛ فهي بعد الوصف تتوسّط كلّ هذه المناطق وتربطها فيها بالمسالك التالية [3]:

01. نحـــو الجنوب :

1.1 توات تمبكتو : ينطلق هذا الطريق من رقـــــان نحو حاسي حسده؛ ثمّ حاسي البوز؛ ثمّ المالح؛ ثمّ ورقلة؛ ثمّ بير ذهب؛ ثمّ تنصر؛ ثمّ صبطي؛ ثمّ طرفية؛ ثمّ ندقوير؛ ثمّ تليق؛ ثمّ تاودسني وصولاً إلى تمبكتو.

2.1 طريق توات قاو : ينطلق من أقبلي بتوات؛ ثمّ مراقن؛ ثمّ والن؛ ثمّ تنزروفت؛ ثمّ البرج؛ ثمّ حاسي باكتليس؛ ثمّ تساليت؛ ثمّ أقاهوك؛ ثمّ أنافيف؛ ثمّ تبرشات؛ ثمّ تبنكورت؛ ثمّ

[1] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 78.
[2] : زاجية هرباش، المرجع السابق، ص 291.
[3] : نفسه، ص 291.

تنقــارا؛ ثمّ بــوراغن؛ وصــولاً إلى قــاو و في والــن يخــرج منــه طريــق فرعــي آخــر نحــو الأربعمائة؛ ثمّ نحنوت؛ ثمّ أشوارد شبي؛ ثمّ أنافيس؛ ثمّ أماهور[1].

3.1 طريـق تـوات تمبكتـو عـبر أقبلـي [2]: ازدهـر خـلال القـرن التاسـع عشـر، وتحـدّثت عنـه المصادر بشيء من التفصيل، ينطلق من أقبلي، وأوّل محطّة تأتي بعد مرحلتين، وهي تين تتيثاني محطّة هي والن، وبعد أيّام تدخل القافلة صحراء تنزروفت، وهي منطقة قاحلة جرداء منبسطة، تأتي بعدها محطّة ثالثة، وهي انغانان، وبعد سنة مراحل تصل القافلة إلى محطّة المبروك والمحطّة الخامسة تأتي بعد ثلاثة مراحل، وهي المامون، وبعد ثلاثة مراحل تأتي محطّة بوجبيهة، وبعد ثلاثة مراحل تأتي أروان، وهي محطّة رئيسية للقوافل، وتأتي بعدها محطّة واغوزان، وبعد ثلاث مراحل تصل القافلة إلى تمبكتو، ومجموع الطريق أربعة وثلاثين مرحلة، ويخرج منه طريق فرعي من أقبلي إلى عين بير أربعة مراحل، ومنها إلى بير موسكوم ثمانية مراحل، ومنها إلى حاسي توابار أربعة مراحل، ومنها إلى حاسي موسى خمسة مراحل، ومنها إلى كمبروك ستّة مراحل، ويلتقي هناك بالطريق الأوّل[3].

4.1 طريق عين صالح تمبكتو [4]: وينطلق هذا الطريق من تديلكت بعين صالح ثمّ اينغر ، تيط ؛ أقبلي؛ زاوية حينونبأولف المالح ثمّ عين الشبي، تمادناين، وهذه آخر نقطة في توات ثمّ بعدها يأتي حاسي تيابين ثمّ والن صحراء تنزروفت[5]؛ عين رنان؛ لمبروك؛ المامون؛ بوجبيهة تتمبكتو؛ ومن المامون تذهب بعض القوافل إلى أوران ثمّ إلى تمبكتو[6].

---

[1] : مبارك جعفري وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص 09.

[2] : أقبلي : منطقة تجمع القوافل القادمة من توات أوتديكلت والمتّجهة إلى تمبكتو، تمورها الجيّدة، يجعل الطوارق يحبّذونها ويتعاملون معها تجارياً؛ إضافةً إلى ذلك؛ فإنّها مركز زاوية الشيخ بونعامة، ممّا يسمح لها باستقبال من يقصدها، ينظر إلى : زاجية هرباش، المرجع السابق، ص 293.

[3] *: James Richaslson (1806_1851), Routes Du Sahara Ltnéravie Dans L'interieur Du Grand Désert D'afrique De L.Martinet, Paris, 1850, Pp 08 - 10.*

[4] : ينــظر إلى الملحق رقم (06)، ص 76.

[5] : تنزروفت : صحراء تمتّد إلى منطقة الهقار، وتعتبر أصعب مرحلة بالنسبة للقوافل التجارية لشساعتها، ينظر : فرج محمود فرج ، المرجع السابق، ص 02.

[6] : مبارك جعفري، الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 333.

5.1 طـــريق توات قاو عن طريق الهقار : وينطلق ها الطريق من عين صالح بتوات ثمّ الهقار؛ ثمّ غات؛ عاهر؛ قاو، وقد ورد هذا الطريق في رحلة "ابن بطوطة"، حيث أخذ هذا الطريق راجعاً من قاو إلى توات[1].

02. طـــريق الوسط : وهي على خمسة مسالك.

1.2 طرق طرابلس : باتّجاه جغبوب؛ وسيوة؛ والفرافرة؛ والأقصر والذي يتفرّع منه عدّة مسالك باتّجاه كلّ من سرت؛ وبنغازي؛ ودرنة؛ والقصر الجديد.

2.2 طـــريق بنغازي : باتّجاه أوجبلة؛ وجالو؛ وسرهن؛ وكبانو؛ وتاهيته؛ ووادي، حيث يتفرّع منه مسلكان أحدهما باتّجاه ماو والآخر باتّجاه أبشر.

3.2 طـريق طرابلس : إلى مزرق عبر بسهة؛ ثمّ بئر بكر؛ ونيجري؛ وتيماسينين؛ والبيوض، حيث يتّصل بطريق قسنطينة إلى تمبكتو.

4.2 طريق سكيكدة وقسنطينة إلى أمقيد والهقار وتمبكت، ويمّر على باتنة؛ ثمّ بسكرة؛ ورقلة؛ والبيوض؛ وأمقيد؛ والهقار؛ وتيمسا؛ وإيفراون إلى مبروك وتمبكتو، ولهذا الطريق فرع يبدأ من الجنوب بسكرة، ويتّجه إلى واد سوف، ومن هناك إلى غدامس؛ وغات؛ وجبادو؛ وبلما؛ وأقاديم؛ وماو؛ وفرع من البيوض إلى عين صالح[2].

5.2 طـــريق الجزائر [3]: يربط المسلك بين الوسط وتوات؛ أي الشمال بالجنوب، يمّر هذا الطريق عبر البليدة؛ بوغار؛ الأغواط؛ غرداية؛ والقليعة، ومنها إلى عين صالح أقبلي، لهذا الطريق مسلكين أحدهما يتّجه إلى قورارة عبر وادي مقدين، والثاني عبر وادي ميا إلى تديكلت، وله فرع آخر يمّر عبر عين صالح إلى بئر عيسووتنتيلوست، وله فرعين،

[1] : ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 406 - 407.

[2] : خير الدين شترة، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، دورية كان التاريخية، مج : 09، ع : 33، (سبتمبر 2016م)، ص ص 36 -47.

[3] : ينـــظر إلى الملحق رقم (07)، ص 77.

فرع يتّجه نحو أقادم؛ وماو شرق بحيرة تشاد، والثاني نحو الجنوب الغربي إلى أغاديس ومنه إلى سوكوتووكاتسمنا[1].

03. طـــريق الغرب :

1.3 طــريق وهران : ينطلق هذا الطريق من منطقة وهران متّجها نحو الخيثر؛ المشرية؛ فعين الصفراء ثمّ فقيق متبعاً مجرى وادي زوسفانة إلى إيقلي، ومنها إلى تمبكتو، وله فرع يخرج من منطقة الخيثر إلى الأبيض سيد الشيخ مروراً بالمنقب إلى توات ليلتقي مع طريق وهران؛ ثمّ فاس؛ ومكانس، ومنها إلى تمبكتو[2].

وبهذا يتّضح لنا أنّ التجارة مع بلدان السودان الغربي والأوسط والشرقي محتكرة لشعوب شمال القارّة، وتتوفّر بلاد السودان على ما لا يقّل عن 800 مركز عمراني في الإتّجاهات الطويلة بين خطي 17 شمـــالاً وجنوباً، وما لا يقّل عن 500 مركز عمراني في الإتّجاهات العرضية من الغرب إلى الشرق، وازدهرت التّجارة فيها وتطوّرت منذ القرن التاسع عشر ميلادي[3]؛ وتمّر القوافل على معظم الأسواق والمراكز العمرانية في قلب الصحراء حسب اتّجاهات، وتستغرق في ذهابها وإيّابها شهور عديدة لا تقّل عن فصل كامل حسب فصول السنة، وأحياناً تستغرق عدّة فصول؛ فقافلة طرابلس الغرب إلى كانو تستغرق 125 يوماً تقطعها على مراحل، وقافلة قسنطينة إلى توات تستغرق 36 يوماً، وقافلة توات تستغرق 48 يوماً، وقافلة فاس إلى توات 39 يوماً[4].

04. مسلك عين صالح غدامس : يربط غدامس[5]؛ بعين صالح يمّر من توات إلى حاسي أولاد مسعود؛ وفارس؛ وأمّ الليل عبر مناطق مختلفة يصل إلى تيماسنين ثمّ غدامس، هذا المسلك

---

[1] : زاجية هرباش، المرجع السابق، ص 292.

[2] : نفسه، ص 293.

[3] *: avoir :bozzodi (borgo), role du hogger dans les commerces transsaharienpp18 - 21*
نقلاً عن :خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 – 47.

[4] : نفسه، ص ص 36 – 47.

[5] : غدامس : وصفها الأغواطي بأنّها بلدة كبيرة مبنية بالطوب، تمورها كثيرة بها العلماء، والسوق العظيم، يرد إليها عدد كبير من العبيد يُباع العبد الواحد أو الأمّة بثلاثين دورو بينها وبين توات مسافة 24 يوماً، نقلاً عن : أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج02، ص ص 261 – 262.

تراقبه قبائل الطوارق؛ فهو مجالها الحيوي الذي تنشط فيه أهميته، تتمثّل في موقع غدامس الذي بدوره يربط الصحراء، ويفتح لها الآفاق مع تجارة البحر المتوسّط ومنطقة قابس وتونس[1].

الطرق والمسالك، توضّح أهمّية إقليم توات الذي يربط عبر طرقه الصحراء بالمناطق التلّية، والشرق بالغرب؛ فكان مسلك أقبلي يربطها بتمبكتو، ومسلك عين صالح يربطها بالنيجر، ولقد أوضح ذلك "فوانو" (*Voino*) في دراسة حول منطقة تديكلت والتي حدّد فيها المسافات الرابطة ما بين عين صالح والجزائر، ومنطقة السودان[2].

القوافل التّجارية عند مرورها بعين صالح؛ فإنّ قبائل الطوارق كانت تجبرهم على دفع ضريبة تعرف بـ : "الخفارة" كرسوم مقابل عبورهم بها حتّى لا تتعرّض تلك القوافل إلى أعمال نهب وسلب، قد تعترض سبيل طريقها، ولقد كانت تؤخذ بصورةٍ نقدية وليست عينية؛ لأنّهم كانوا يدركون سهولة تعويضهم لها من أربح البضائع المحمولة إلى أسواق عين صالح، ودفع هذه الخفارة كان يوفّر لهم الحماية والأمان ويجنّبهم الإعتداءات[3].

[1] : زاجية هرباش، المرجع السابق، ص 293.
[2] : نفسه، ص 293.
[3] : نفسه، ص 295.

خلاصة الفصل الثاني :

يشكّل إقليم توات أحد أبرز المراكز التجارية التي لعبت دوراً محورياً في تنشيط التّجارة عبر الصحراء الكبرى خلال العصر الحديث، إذ ساهم موقعه الإستراتيجي بين شمال إفريقيا وبلدان السودان الغربي، وتمثّلت أهمّية توات في تنوّع بضائعها وانفتاحها على أسواق متعدّدة في الشمال والجنوب، وهي ميزة التي كانت سبب إزدهارها واستمرارها كمركز تجاري، وقد ساعد موقعها الجغرافي المتميّز على جعلها محطّةً رئيسية لتوقّف القوافل وتبادل السلع، قد ساهمت عدّة عوامل في ازدهار النشاط التجاري في هذا الإقليم، منها وفرة المياه التي سمحت بالإستقرار البشري والزراعي؛ إضافةً إلى توفير الأمن النسبي بفعل التنظيم القبلي المحلّي، إلى جانب مهارة سكّان المنطقة في التفاوض والوساطة التجارية، فضلاً عن دعم بعض القوى السياسية للتجارة الحيوية، من أبرزها طريق تلمسان؛ توات؛ تمبكتو الذي لعب دوراً أساسياً واستعمل طريق توات، عين صالح، غدامس الذي وفّر امتداداً تجارياً نحو الشرق الليبي،كل هذه العوامل جعلت من توات مركزاً حيوياً في الإقتصاد الصحراوي خلال هذه المرحلة التاريخية.

الفصل الثالث :

أثــر توات في التجـارة الصحراوية.

الفصل الثالث : أثــر تــوات في التجـــارة الصحراوية.

1. الأســـــواق التجاريـــــة._____
2. السلـــــع والبضـــائع._____
3. أهمّية الأســـــواق الداخلية التجـــارية._____
4. أثـــر التجارة التواتية على الـــواقع الاجتماعي والثقافي._____

الفصل الثالث :

أثـــر توات في التجـــارة الصحراوية.

01: الأســـواق التجارية.

تعتبر توات مركزاً تجارياً هامّاً باعتبار موقعها المتميّز والذي يعدّ المحور الطبيعي لتجارة السودان الغربي، ودول جنوب الصحراء وبضائع بلدان المغرب العربي، حيث شكّلت حلقةً وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر الصحراء الكبرى[1]؛ في كلامنا عن التّجارة بتوات، ارتأينا أن نقسّمها إلى قسمين : تجارةً خارجية؛ ومن هنا تبرز توات كموقع استراتيجي، وهي منطقة عبور لابّد للتجّار من المرور بها؛ فاعتبرت سوقاً هامّاً لكلّ القوافل التجارية القادمة إلى توات شمالاً وجنوباً[2].

1.1 الأســـواق الداخلية :

لعبت الأسواق العامّة دوراً هامّاً في الحياة الإقتصادية عند التواتيين؛ فكانت تعدّ القلب النابض بالنشاط التّجاري للبلدة، لذلك لم تخلو مدينة أو قصر تواتي منه، ونظراً لما للسوق من أهمّية في تنشيط حركة البيع والشراء؛ فقد حرص كلّ صاحب سلعة على عرضها داخل السوق، إمّا ليبيعها أو استبدالها بسلعةٍ أخرى[3]؛ ونذكر من أهمّ هذه الأسواق :

أ. ســـوق أدرار : بدورها أصبحت أهمّ منطقة تجارية بسوقها الدائم، وهي واحدة من الأسواق الأساسية الثلاث إلى جانب تيميمونوتمنطيط، تحتوي على 16 حيّاً، وتمتلك (03) أبواب هي : الباب الظهراني؛ وهو الباب القوافل الذي ترتاده القوافل التجارية وتدخل منه، والباب الغربي؛ الذي ينفتح على البساتين والجنّات، والباب الشرقي الذي

---

[1] : حسيبة بلاطش، الإزدهار الإقتصادي والعلمي لإقليم توات وانعكاسه على التواصل ببلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين 16 و20م، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20م، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، يومي : 15 و16 أكتوبر 2017م.

[2] : إبـــراهيم حامد لمين، **التبـــادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي (999/1317هـ_1591/1900م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2015م/2016م، ص 68.

[3] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 77.

ينفتح على قصور المقاطعة التي يحيط بها حائط بني حولها ليوفّر لها الحماية اللاّزمة من الإعتداءات الخارجية[1].

ب. ســـوق تسابيت : وصفه "العيّاشي" بقوله : " وأقمنا بها ستّة أيّام، وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا، واشترينا ما يحتاج إليه من التّمر، وبها من التّمر أنوعاٌ كثيرة، ووجدنا التّمر فيها رخيصاً "[2].

ج. أســـواق تيـديكلت : تحتّل هـذه المنطقـة مكانـةً هامّـة جـدّاً في تجـارة الصـحراء، وقـد تركّـز النشـاط التّجـاري لهـذه المنطقـة في مقاطعـة عـين صـالح؛ فسـوقها الرئيسـي الواقـع بـأكبر قصورها، وهو "قصر العرب الكبير"، كما يعدّ نقطة هامّة لالتقاء القوافل التّجارية العابرة للصحراء في كافّة الإتّجاهات، وقد كانت هذه القوافل تضع حمولاتها بسوق القصر الكبير، إمّا لبيعها أو لاستئناف السير، وقد وصفه الرّحالة الألماني "جير هارد رولف" عندما توجّه إلى منطقة "تيديكلت"، وزار سوقها الكبير"القصر الكبير"، ووصف لنا المعروضات ومدى النشاط التجاري الذي يحتلّه هذا السوق بالنسبة لتجارة الصحراء[3]؛ وقد ذكر "ديبورتر" (*Deporter*)، بأنّ سوق عين صالح هو مركز مهم في تجارة العبور الصحراوية؛ وأنّ القوافل القادمة من غدامس؛ وغات؛ وتنبكتو نحو أسواق الشمال المتمثّلة في : متليلي؛ الشعابنة؛ ورقلة، وذكر أيضاً أنّه سكن في قصر العرب تجّار من غدامس؛ وغات؛ وتنبكتو ...، كما تواجد بـ :تيديكلت[4].

د. ســوق رقان : كان هذا يقام بمدينة تيمادنين مركز المقاطعة، وبرزت له أهمّية في كونه يستقبل بعض القوافل القادمة من أسواق السودان الغربي، وهو السوق الرئيسي الذي

[1] : زاجية هرباش، المرجع السابق، ص ص 253 _ 254.
[2] : العيـاشي، المصدر السابق، ص 79.
[3] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 80.
[4] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 72.

تقصده قبائل تاوديني؛ والمبروك؛ وأهميدان؛ وأدغاغ؛ والفوغاس، ويربط بين أسواق تيديكلت وتوات[1].

هـ. سـوق تمنطيط : يصف المؤرّخ التواتي "محمّد الطيب بن عبد الرحيم" في مخطوطه القول البسيط في أخبار تمنطيطحركية التجارة بتمنطيط، حيث يقول : "التمنطيط اسم المدينة في إقليم توات، بها قاعدة اجتمع فيها العلم؛ والإمارة؛ والديانة؛ والرّبانية[2]؛ وتنصّب بها الأسواق والصنائع التجارات والبضائع، وكاد أن لا يستغني عنها ولا زاهد لما فيه من الدّين والبركات والمنافع والحاجات؛ فهي مورد الركبان ومحشر العربان، ورئيسة البلدان، تنمت لعرسها الجيران، ويرديها الظهان، وتربى بها التّجارة في الأوان، ولا ينفع ذو سلعة عرفها إلاّ بسعرها "[3].

يعتبر سوق تمنطيط من أنشط أسواق المنطقة في هذه الفترة، وقد اكتسب شهرة وأهمّيته عندما كانت هذه المدينة عاصمة للإقليم التواتي، وذلك قبل القرن 18م، ويعدّ هذا السوق من أقدم الأسواق التواتية على الإطلاق، وظلّ هذا السوق منافساً للأسواق الأخرى، وقد وصف "جيرهارد رولف" أثناء زيارته له، ما كان به من السلع مجلوبة من أسواق السودان وبلاد العرب داخل الحوانيت المنتشرة على جانبي الطريق، وذكر صاحب القول البسيط؛ أنّ عدد حوانيت التجارين بسوق تمنطيط، كان يبلغ ثلاثمائة وستين حانوتاً، ومثلها من حوانيت الحدادين[4].

و. أســواق تيجورارين : يحتّل شهرة كبيرة خارج توات؛ فقد كثرت فيه السلع المعروضة، وتنوّعت من عبيد؛ وريش النعام؛ والعاج؛ واللّحوم المجفّفة؛ والجلود، بالإضافة إلى التّمور على اختلاف أنواعها، والحناء؛ والطباق؛ والتبغ "الشمّة التواتية المشهورة"؛ ومن مصنوعات

[1] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 71.

[2] : محمّد ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 14.

[3] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] : فــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 79.

اليدوية تتواجد به الأبسطة والبرانس؛ والأغطية؛ والقفف؛ والسلال؛ وكذلك ملح الطعام؛ والفحم النباتي؛ والجير؛ والجبس، وغيره[1].

وكان هذا السوق تقصده القوافل القادمة من الشمال التي تأتي من المنيعة؛ وغرداية؛ ورجلان؛ متليلي؛ الشعابنة؛ وسعيدة؛ والمشرية؛ وعين الصفراء؛ والبيض؛ وهران[2]، لمبادلة سلعها من القهوة؛ والسكر؛ والشمع؛ والصابون بسلع سوق تيجورارين[3].

تطرّق الجغرافي الشهير الرّحالة "الحسن الوزان" لسوق تيجورارين عندما زار إقليم توات عام 917هـ/1511م، وأثناء حديثه عن تيجورارين في كتابه وصف إفريقيا، يصف سكانها بالأغنياء وأنّهم يذهبون سلعهم بكثرة لبلاد السودان، ثمّ يذكر أنّه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجّار من بلاد السودان، وتقام فيها أسواق كبيرة، كما تطرّق لذكر بعض السلع التي تباع هناك كـ : اللحوم، وقال أنّ أسعارها مرتفعة، وذكر أيضاً أنّ سكان تيجورارين يشترون لحم الجمال والشحم المالح الذي يأتي به تجّار فاس وتلمسان، وتحصل منه أرباحٌ كثيرة[4].

ز. ســـوق آولف : يمثّل هذا السوق مركزاً بين أسواق توات وتديكلت، كونه يقع على طريق القوافل، وهو بوّابة توات نحو تنبكتو، عرفت منطقة آولف بتجارة العبور، وكان يسيطر على ذلك قبيلة أولاد رتان، حيث يمتلكون أعداداً كبيرة من الجمال، يوفّرونها للتّجارة الذين يعبرون تديكلت نحو تنبكتو، كما كان منهم أدلاء يقودون القوافل في الصحراء الكبرى بين توات وتنبكتو لمعرفتهم الكبيرة بالصحراء وطرقها وآبار المياه، ومن التجّار في منطقة آولف "أمحمّد بن أحمد حمد لأمين"[5]؛ والتاجر "أحمد حمدي حبادي" الذي عثرت له على رسائل من تنبكتو تحمل أسماء بعض البضائع والسلع وأثمانها، وهو من قبائل أولاد شبل العربية،

[1] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 65.

[2] : نفسه، ص 67.

[3] : الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 103.

[4] : نفسه، ج01، ص 103.

[5] : أمحمد بن أحمد بن محمّد بن محمّد أبو لحية الفزاري، كان فقيهاً وتاجراً ودليلاً للقوافل التجارية، كان يدعم بتاجرته الزاوية الفزارية، كان أخوه " البركه بن أحمد حمد لمين" هو شيخها؛ فإضافة إلى دورها العلمي كان لها دور اجتماعي في إيواء الضيوف وعابري السبيل، نقلاً عن : إبراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 72.

التي أسّست قصر حباداتبآولف، وتعتبر قصبتهم – قصبة حبادات– مقصد القوافل القادمة من توات، والمتوجّهة نحو عين صالح إلى أسواق السودان الغربي أو العكس، حيث عرف هذا القصر حركةً تجارية مزدهرة، خاصةً في تصدير التّمور التي كانت تحملها القوافل في الشبّاك بعد أن ينزع منه النوى كي يكون حملاً خفيفاً مع أحد أكبر كمّية ممكنة منه، وكانت القبائل الطوارق تتردّد على قصبة حبادات كثير الإقتناء البضائع السودانية، حيث كان القصر يعرف حركة تجارية كبيرة؛ لأنّها آخر محطّة تستريح فيها القوافل بقصر آولف قبل الدخول إلى أقبلي ، وكان أولادي حبادي يحرصون على استضافة كلّ من يقصد قصبتهم، خاصةً وأنّ القصر مزوّد ببئر من الماء ومسجد للصلاة به مدرسة لتعليم القرآن والفقه، ويحتفظ " حبادي أحمد" بعديد الرسائل والوثائق المخطوطة التي توضّح التواصل الإقتصادي والعلمي بين منطقة آولف بتوات وتنبكتو[1].

2.1 الأســواق الخارجية :

تتّم التجارة الخارجية لإقليم التوات على خمس مناطق أو محاور رئيسية يتعامل معها تجّار توات تصدير واستيراد السلع والبضائع :

أ. أســواق الشمال الجزائري :

تربط توات بأسواق الشمال الجزائري شرقاً وغرباً مجموعة من الطرق تخرج من جهةٍ توات، ومن جهةٍ تيجورارين، ومن جهةٍ تديكلت وهي [2]:

- وهران؛ أرزيو؛ الخيثر؛ مشرية؛ عين الصفراء؛ فقيق؛ أقبلي؛ توات.
- وهـــران؛ أرزيـــو؛ الخيثر؛ البيض؛ الأبيض سيد الشيخ؛ المنقب؛ تبلكوزة؛ توات.
- سكيكـــدة؛ قسنطينة؛ باتنة؛ بسكـــرة؛ تقرت؛ ورقلـــة؛ ميزاب؛ عين صالح؛ أقبلي؛ توات.
- الجـــزائر؛ البليدة؛ المدية؛ الأغـــواط؛ ميزاب؛ عين صالح؛ أقبلي توات[3].

[1] : إبراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 37.

[2] : جعـــفري مبارك، المرجع السابق، ص 98.

[3] : نفسه، ص 99.

كانت قوافل الشكال الجزائري، تقصد إقليم توات مع موسم جني التمور[1]؛ لأخذ التمر؛ والحناء؛ والزرابي مقابل ما تأتي به من حبوب؛ وسكر؛ والشاي؛ والصوف[2]؛ كما كانت قوافل من البيّض؛ والمشرية؛ وعين الصفراء تقصد إقليم توات عبر زاوية سيدي منصور؛ وقصر أولاد عيسى، محمّلة بالسمن؛ والحبوب؛ والصوف؛ والأغنام؛ والألبسة القطنية[3]. وقد أوردت مجلّة المبشّر الفرنسية قائمة للمبادلات التّجارية بين قافلة عين الصفراء وسوق تيجورارين[4]؛ كما أورد "مارتان" قائمة للبضائع والسلع المتبادلة من قافلة وهران وسوق توات[5].

ب. أســـواق المغرب الأقصى :

يربط توات بأسواق المغرب الأقصى مجموعة من الطرق التّجارية المتفرّعة على أربعة طرق رئيسية وهي :

- تـــوات؛ أقبلي؛ أم دربينة؛ قصبة المخزن؛ مكانس؛ فاس.
- تـــوات؛ أقبلي؛ فقيق؛ سجلماسة؛ تـــافلات؛ فـــاس.
- تـــوات؛ تبلبالت؛ قصبة تنزولين؛ وادي درعة؛ مراكش.
- تـــوات؛ تيجورارين؛ ميزاب؛ تلمسان؛ فـــاس[6].

ومن خلال هذه الطرق الرئيسية، كانت قبائل ذوي منيع؛ وأولاد جدير؛ وبني محمّد، تأتي إلى سوق توات محمّلة بالشعير؛ والقمح؛ والأغنام؛ والملابس؛ والجلد الفيلالي الخام والمصنوع من أسواق المغرب الأقصى، ويعودون محمّلين بالتّمور، والمنتوجات السودانية، ويضاف إلى ذلك أنّ القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان، تواصل سيرها إلى تافيلالت؛ وسجلماسة، وتصل حتّى إلى فاس ومرّاكش، وتدّل نوازل البلبالي إلى العلاقات التي كانت بين توات والمغرب الأقصى، وبيّنت أيضاً

---

[1] : *Martin, Les Oasis Sahariennes, Op_Cit, P 318.*

[2] : إبراهيم حـــامد لمين، المرجع السابق، ص 74.

[3] : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 71.

[4] : نفسه، ص 73؛ انظر : الملحق رقم : (01) و(02)، ص 79.

[5] : انظر : الملحق رقم : (03) و(04)، ص 80.

[6] : مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 99.

المخاطر التي كانت تعترض القوافل؛ وأنّ الطريق عرضةً للصوص وقطّاع الطرق؛ فأشارت الغنيةللبلبالي[1] إلى : " من اكترى جملاً ليحمل عليها سلعاً من فاس إلى توات؛ فلمّا بقي فلما بقي له نحو ثلاثة أيّام للوصول، تعرّضت له لصوص؛ فأخذت الجمال بما عليها ... "[2].

ج. أســـواق الطوارق :

تنتشر قبائل الطوارق في بلاد الهقـــّار، وهي الواقعة جنوب توات، ويتّم الصلة بين توات وأسواق الهقّار عبر سوق عين صالح، وذكر "فوانتو" (*Voinot*) قائمة للمبادلات التجارية التي تمّر إلى السودان عبر منطقة الهقّار، كونها تقع في نقطة عبور بين أسواق والسودان الغربي، مثل : التّمر؛ والتبغ؛ والحناء؛ والأغنام؛ والماعز من نوع الدمّان، وكان الطوارق يصلون إلى أسواق عين صالح حاملين معهم الإبل؛ وخراف الدمّان؛ والماعز لمبادلتها بالتمور والتبغ التواتية[3]. يمتلك الطوارق قوّة هائلة من المهاري الجمال؛ إضافةً إلى صفة الشجاعة التي يتميّزون بها؛ فهم يعملون كحرّاس وأحلاء على القوافل التي تمّر بمنطقتهم مقابل ضريبة معيّنة[4].

د. أســـواق السودان الغربي [5]:

تعتبر منطقة السودان الغربي من المناطق التي تعرف تبادلات تجارية مهمّة مع توات، بحكم الموقع الجغرافي للسودان الغربي المحاذي لإقليم توات، حيث تعتبر الصحراء همزة وصل بين أسواق السودان الغربي ومنطقة توات، بحيث تقطعها القوافل التجارية ذهاباً وإيّاباً لتزوّد أسواق توات

[1] : عبد العزيز بن عبد الرحمان البلبالي : ولد عام 1190هـ/1776هـ، بـ قصر ملوكة بتيمي ، أخذ العلم على يد والده "عبد الرحمان البلبالي ومحمّد عبد الرحمان التنلاني"، عالم، فقيه، ونحوي، أديباً، كان مرجع الفتوى بإقليم توات في عصره، جمع فتاواه في مخطوطٍ كبير – غنية المقصد، ويعرف بـ الغنية، تولّى قضاء الجماعة بتوات، من تلاميذه العلامة الشيخ سيد البكري، وسيدي أحمد الحبيب، ومحمّد بن محمّد الجزولي البكري، له فتاوى وقصائد عديدة، توفّي في : 17 جمادى الأولى 1261هـ/1845م، نقلاً عن : محمّد باي بلعالم، المرجع السابق، ص ص 58 – 59.

[2] : إبراهيم لمين حامد، المرجع السابق، ص 75.

[3] : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 71.

[4] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 269.

[5] : ينـظر إلى الملحق رقم (08)، ص 78.

والسودان الغربي، ممّا أنعش الحركة التجارية والإقتصادية بين الإقليمين؛ لأنّ القوافل التواتية تقصد أسواق تنبكتو؛ أروان؛ المبروك؛ تاودني؛ جاو؛ ووالن[1]؛ وغيرها.

ولم تقتصر القوافل على التّجارة فقط، بل كانت هناك قوافل الحجّاج التي يشترك فيها أعداد كبيرة من التواتيين وجيرانهم، وكانت قافلة الحجّاج التواتية تجتمع كلّ عام بمقاطعة عين صالح، وتسلك الطريق الشمالي الشرقي الذي يمرّ بمدينة غان، وعندما تصل إلى مدينة مرزق، تمكث القافلة بها حوالي 25 يوماً، يبيع أفرادها ويشترون ما يحتاجون إليه من أسواقها ثمّ تستأنف سيرها نحو قزان، ومنها تتّجه إلى مصر، لتعبّر منها إلى الأراضي الحجازية[2].

هـ. أســـواق السودان الشرقي :

ومن ضمنها أسواق دارفـــور؛ وكوردوفان كالفاشر؛ والفوجة؛ والأوبيد؛ وسنار؛ والخرطوم؛ ودنقلة؛ وبربارة؛ وسواكن؛ وسليمة؛ ووادي حلفا[3].

و. أســـواق تشـــاد والسودان الأوسط :

ومن ضمنها : سوكوتو؛ قاندو؛ كاتسنا؛ تاقليلي؛ أقاديس؛ كوكة في برونو؛ أبشرفي واداي؛ وماو؛ وأقاديم؛ وبيلما؛ وتنتيلوسن؛ وبئر عيسو؛ وجبادرين؛ وتومو "كاوار"، وإلى شمال هذه الأسواق تقع أسواق واحات بليبيا[4].

02: السلع والبضـــائع.

اشتهرت في توات أسواقٌ كثيرة، لعلّ أهمّها : سوق تمنطيط التي أشار إليها الكثير من المؤرّخين، وفي مقدّمتهم "ابن خلدون" لكون الأخيرة عاصمة توات لقرون، وسوق بودة التي ذكرها "ابن بطوطة"، وسوق تيكورارين؛ وعين صالح؛ وتيمي، ومن الأسواق أيضاً سوق تسابيت التي ذكرها "العياشي"، وسوق أوقروت[5]؛ ويقول "دوماس" : "أنّ في توات أسواقاً متعدّدة خصّص كلّ واحد منها

[1] : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 79.
[2] : نفســـه، ص 71.
[3] : خيـــر الدين شترة ، المرجع السابق، ص ص 36 - 46.
[4] : نفســـه، ص ص 36 - 46.
[5] : العيـــاشي، المصدر السابق، ج01، ص 80.

منها لبيع سلعةً معيّنة؛ فهناك سوقاً للسمن؛ وسوقاً للسراجين؛ وسوقاً للقماش؛ وسوقاً للعبيد؛ وسوقاً للعطارين؛ وسوقاً للأغذية؛ وسوقاً للتبغ؛ وسوقاً للماشية "[1].

وبالنسبة للسلع؛ فقد ذكر "العيّاشي"؛ أنّ في توات سلعٌ كثيرة، مثل : النخيل؛ الملابس؛ الحرير، كما أنّ الحجّاج المغاربة يشترون جميع ما يحتاجون إليه من التّمر والذّهب من توات؛ لأنّ أثمانها رخيصة، مقارنةً مع المغرب، وكذلك سعر الصرف؛ فعدد المثقال فيها أربع وعشرون موزنة[2]؛ ويقول "لانز" : "أنّ القوافل التواتية في نمبكتو كانت تحضر معها التّمر والتبغ، وتعود محمّلة بالذّهب والعبيد، وريش النّعام والعاج"، ويقول "روفلس" : "أنّ القوافل التواتية القادمة من السودان الغربي عادةً ما تعود في كلّ مرّة معها بين ستمائة إلى ألف وسبعمائة من العبيد، وحوالي خمسين رطلاً من التبغ ، وكمّيات من ريش النعام والعاج"، ومن هنا يمكن القول أنّ أهّم السلع التي كانت توفّرها توات هي : التّمر والتّبغ، أمّا السلع المستوردة من الأسواق المجاورة في الشمال أهمّها : العطور؛ القماش؛ البارود؛ المخطوطات ... الخ، ومن الجنوب : الذّهب؛ العبيد؛ العاج؛ ريش النعام[3].

1. **تجـــارة العبيد** : رغم كثرة البضائع وتنوّعها التي تنقلها القوافل التجارية من إقليم توات إلى بلاد السودان والتي تعتبر عماد التجارة التواتية؛ غير أنّ نوازل الغنية لم ترد فيها سوى نوازلاً قليلة تشير إلى بعض البضائع، وفي مقدّمتها تجارة الرقيق التي شغلت القضاة في فضّ نزاعاتها منها من حدّدت فقط سرّ عملية شراء العبيد، تبدأ تجارة العبيد في فصلي الخريف والشتاء في بلاد السودان، يوجّه منها العبيد إلى توات وقورارة ،وتديكلت يتّم جلبهم من منطقة تمبوكتو؛ يرنو؛ سوكونو، ومن قبائل أخرى تعيش بالنيجر، وبعد وصولهم يتّم بيعهم في أسواق الرقيق بتوات بأسعار مختلفة، تحدّد معيار سنّ العبد وجنسه؛ فالعبد يختلف عن الأمة، لذلك حدّد التجّار سنّاً معيّناً تتحكّم في سلّم الأسعار ناهيك عن الأعمال التي سيضطلعون بها[4].

[1] : جعفـــري مبارك وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص 12.
[2] : العيـــاشي، المصدر السابق، ج01، ص 81.
[3] : جعفـــري مبارك وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص 13.
[4] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 278.

الجنس	الســـــن	شعر الشراء في تمبوكتو بـ (الفرنك الفرنسي)	سعـــر البيع في قورارة؛ توات؛ تديكلت[1]
أنثـــى	04 إلى 10 سنـــوات	من 80 إلى 160	200 إلى 350
	11 إلى 16 سنـــة	350 - 200	600 - 500
	16 إلى 25 سنـــة	300 - 200	550 - 450
	25 سنـــة فما فوق	250 - 150	500 - 400
ذكـــــر	04 إلى 10 سنـــوات	80 - 50	200 - 150
	11 إلى 16 سنـة	200 - 150	400 - 300
	16 إلى 25 سنـــة	200 - 150	400 - 250
	25 سنة فمـــا فوق	200 – 100	500 - 350

2. تجـــارة الذهب :

تجارة الذّهب أيضاً شكّلت أهمّ مصادر التجارة والربح، ولقد عرفت رواجاً كبيراً في العصر الوسيط في منطقة توات، وتمنطيط وتلمسان قادمة من منطقة السودان الغربي[2]؛ ولقد شكّلت توات أهّم محطّة له باعتبارها كانت حلقة وصل بين المناطق الشمالية والجنوبية، وتواصل هذا الدور إلى غاية القرن 19 م؛ فهو جانب استخدامه في صناعة الحلّي؛ فإنّه يشكّل أهّم وسيلة للتبادل لكونه كان عملةً أساسية له، ولقد دلّت نوازل الغنية على استعماله في المعاملات، مثل : نازلة شراء أمة من بلاد النكرور ذهباً دون تحديد قيمته، وفي أخرى ، نذكر أنّه إذا انعدمت السكة؛ فإنّ المشتري يدفع قيمتها ذهباً، مثل الذي قبض ثلاثمائة مثقال ذهبي، أمّا من استلف الملح؛ فإنّه إذ تعذّر عليه الرّد ذلك الملح يعينه، توجّب عليه دفع قيمته ذهباً، حسب النوازل دائماً، وهذا يؤكّد عدم اختفاء الذهب من التداول في إقليم توات، كما أشارت إليه بعض الدراسات[3].

[1] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 279.

[2] : جميلة بن مـــوسى، ذهب السودان الغربي ودوره في تجارة، مجلّة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج : 09، ع : 02، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، د ط، (د.ت)، ص 92.

[3] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 283.

3. تجـــارة الملح :

مادّة الملح أيضاً اعتبرت من السلع الرئيسية التي احتلّت مكانةً هامّة في تنشيط عملية التجارة بتوات تستخرج من إقليم تديكلت من السباخ خاصةً من سبخةفرسيق ، ومن منطقة تاودني بمنطقة الأزواد التي تشكّل أهّم مركز يقصده "الكونتيون" ليحملوه بقوافلهم إلى بلاد السودان[1]؛ فهو يعتبر سلعةً لها وزنها لاستعماله في طهي الطعام تحتاجه كلّ المجتمعات بدون استثناء، وفي نفس الوقت يعتبر أيضاً عملةً يتّم التعامل بها تجارياً[2].

4. تجـــارة التمور :

التمور هي من أهّم المنتوجات التي تدر بها أرض إقليم توات، وهي المصدر الذي تقوم عليه التجارة الداخلية والخارجية؛ فهو يوجّه للإستهلاك المحلّي، وكذلك الخارجي في آنٍ واحد. تحمل منه كمّيات كبيرة إلى الأسواق المختلفة؛ فعليه تتوقّف الحياة الإقتصادية في هذه المنطقة، وإذ كانت النوازل قد ذكرت النخيل كمصدر ثروة من جلّ النوازل، وفصلت في النّزاعات التي ظهرت بين المتنازعين حولها؛ فإنّها لم تذكر لا قيمتها ولا جهتها ما عدا الإشارة إلى مقايضتها، بسلع أخرى مع كبير قبائل العنانمة[3]؛ والإحصائيات هي وليدة الدّراسات الفرنسية القليلة منها إشارة "مـــارتان" (*Martin*) إلى صفقة من التّمور بلغت حمولتها 09.250طن تمّ تصديرها من نوع تنهود؛ حميرة؛ تيناصر؛ وتيغزة[4]؛ وإشارة المجلّة الفرنسية إلى تصدير قورارة لكمّية من التمور صوب وهران بقيمة 973,145 فرنك، وهي أكبر نسبة لصادرات قورارة، ولقد أدرج "محمود فرج" ملحقاً لصادرات الإقليم نقلاً عن جريدة المبشر، بلغ حجم حمولتها 110 حملاً من تمور الحميرة، و50 حملاً من نوع تينهود، و05 أحمال من نوع تيناصر[5].

---

[1] : صـــالح حوتية، المرجع السابق، ص ص 96 - 98.

[2] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 283.

[3] : نفسه، ص 284.

[4] : *Martin, Op_Cit, P 332.*

[5] : فـــرج محمـــود فرج، المرجع السابق، ص ص 73 - 74.

5. سلـــــع أخرى :

ذكرت النوازل أيضاً مقايضة عمائم مصبوغة من السودان مقابل أي أرض في بلاد قورارة، وبيع أكسية في بلد المبروك بالسودان، حيث اشتهرت توات بصناعة نسيج الأكسية أو الأبسطة المعروفة بـ : "الدكالي"[1] التي كان يكثر الطلب عليها؛ فأشارت إليها : "و سئل عن رجل له أكسية بعثها مع آخر لبيعها له في البلد المبروك، ثمّ أنّ المرسل إليه باعها لأجل وتوفّي ، وآخر اشترى أحمالاً من الشحم لبيعها لسودان[2]؛ وآخر وهو "الحاج محمّد العربي" بعث لـ : "عبد المولى" ... بالمبروك حاملا من الأبرار وأربع قرب للبيع، وقال أنّ حملاً من الفلفل أودعه عنده ليبعثه إليه، ولم يأمره بالبيع ... "، وأحمال أخرى من الحناء؛ فوجدت في أسفل توات، وهي التي تخوّف منها حسب النازلة، وأمّا التّبغ الذي كان يكثر عليه الطلب ببلاد السودان، بل كان يزاحم منتوجهم المحلّي[3]؛ ولقد أشار مؤلّف "نسيم النفحات" إلى قافلة تتكوّن من 700 جمل، كانت تتّجه إلى بلاد السودان للتّجارة وهو رقم ليس بالهيّن، كان مصدره زاوية "سيدي علي ابن حنيني"[4].

1.5 الجمـــــال : تعتبر تربية الجمـــال بإقليم توات ذات أهمّية كبيرة في المجال الإقتصاديللإنتفاع بألبانها؛ وأوبارها؛ وجلودها؛ ولحومها، وأيضاً تستخدم كوسيلة نقل تستخدم في المسافات البعيدة بفض قدرتها على التحمّل[5]؛ فهي أساس تجارة القوافل، وهي المورد الهام للواحات اقتصادياً منذ ظهورها، والذي ترجّحه المصادر التاريخية، هو أنّ الجمل دخل إلى الصحراء الكبرى الإفريقية في منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد إثر غزو الهكسوس لوادي النيل، وبعد عدّة قرون انتقل إلى المغرب، وساهم في زيادة العمران في المناطق الصحراوية[6]؛ ومن هذا يتّضح أنّ الجمل دخيل على الصحراء الكبرى الإفريقية وليس ملازماً لها، كما يعتقد

---

[1] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 281.

[2] : فـــرج محمـــود فرج، المرجع السابق، ص 71.

[3] : زاجية هربـــاش، المرجع السابق، ص 285.

[4] : مولاي الطاهر الإدريسي، نسيم نفحات، المصدر السابق، ص 14.

[5] : جعفري مبـــارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ، المرجع السابق، ص 94.

[6] : إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1983م، ص 34.

البعض[1]. ويبدو أنّ هذا الحيوان بقدرته على التحمّل والتأقلم مع أوضاع الصحراء، قد أحدث تحوّلات هامّة في هذه المنطقة، ويرجع له الفضل في فكّ العزلة عنها، وفتح إمكانية الإنتقال منها وإليها، وربط أطرافها المترامية وانفتاحها على بقيّة العالم، ولهذا كان الجمل بحقّ أداة وصل تجاري وحضاري لأطراف الصحراء الكبرى الإفريقية[2].

2.5 الكتب والمخطـــوطات : كانت الكتب من الواردات الهامّة إلى بلاد السودان، حيث كان يوجد في تنبكتو سوق رائجة للمخطوطات العربية التي تأتي من بلاد المغرب[3]؛ ومصر، وكانت أثمانها مرتفعة خاصةً في عهد مملكة السنغاي (1591/1443م) نتيجة إزدهار العلوم التي تدرس في مدارسها؛ فأثمانها في تنبكتو ثمّ تنسخ وتُباع في أسواق المدينة، وكانت تلقى إقبالاً كبير من الطلبة المنشغلين بالعلم والسلاطين والأمراء؛ فقد كان العلماء من المغرب العربي سواء طرابلس أو الجزائر؛ وتوات؛ وتلمسان؛ وفاس؛ ومكناس يرحلون إلى المدن السودانية للتدريس، ونشر الثقافة الإسلامية حاملين معهم الكتب المخطوطة، ومن أشهر العلماء التواتيين الوافدين إلى السودان "محمّد بن عبد الكريم المغيلي"[4].

3.5 الأدوات الحديديـة : كانت تصدر من توات مجموعة من الأدوات الحديدية ذات الإستعمال الواسع، حيث يصنع معظمها محلّياً من قبل الحدادين ومنها السكاكين؛ والسيوف؛ وأقفال المنازل؛ والألجمة الخاصّة بالأحصنة والدّواب، وكذلك الفؤوس؛ والمعاول؛ والمناجل؛ والسروج؛ والبنادق؛ والدروع؛ السهام؛ والأقواس[5].

[1] : إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 33.

[2] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 56.

[3] : نفسه، ص 97.

[4] : يحي بـــوعزيز، المرجع السابق، ص 120.

[5] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 97.

4.5 بضـــائع الزينـة والرفاهيـة : أغلبهـا كـان يـأتي مـن أوروبـا إلى شمـال إفريقيـا، ومنهـا إلى السودان الغربي مروراً بأسواق الصحراء، مثل : توات وأهمّها : العطور؛ الإبرة؛ الحلّي؛ المرايا؛ الأواني الزجاجية؛ الحرير؛ اللؤلؤ؛ المرجان الأحمر[1].

5.5 الخيـــول : تعتبر الخيل والبغال من أهم مكوّنات الحيوانية للقوافل التجارية ومن أهّم وسائل نقلها لقدرتها على حمل الأثقال، يقول "العياشي" : " ... وقد قدمنا معنا بثلاثة من الخيل .. في أرض مزّقت من حروثها النعال، وآلمت أخفاف الإبل وحوافر البغال ... "[2].

6.5 البخـــور والتوابل : تنمو في السودان الغربي أصناف عديدة من التوابل والنباتات الطبيّة، الـتي يكثـر عليهـا الطلـب مـن طـرف التجّـار تـوات لأهميّتهـا الطبيّـة والغذائيـة، وهـي مـواد تستخدم كمواد للتجميل ، مثل : الزنجبيل "العود الأبيض"؛ والفلفل الأسود؛ والقرفة، وهي غالية الثمن يقبل عليها تجّار توات لكونها المطلوبة جدّاً ومفضّلة في الأسواق المحلّية، وتصدّر إلى أوروبا عن طريق الموانئ الشرق الجزائري بعد مرورها على سوق ورجلان[3].

7.5 ريـــش النعام : يعدّ ريش النعام من البضائع الهامّة التي كان لها رواج في الأسواق، نظراً لتعدّد مجالات استخدامه، حيث كـان يستخدم منه مراوح للتهوئة والزينة، وتحشى به الآرائك والمخاد في البيوت والقاعات، وتستخدمه بعض القبائل في خيامها لإبراز شرفها وسمّو مكانتها[4].

8.5 الشـــاي والسكّر : زاد الإقبال على شراء الشاي والسكّر نتيجة انتشار تناوله في المدن والبـوادي، وكـان يُبـاع السـكّر مـع الشـاي مجتمعـان؛ إضـافةً إلى الفوائـد الكبـيرة للشـاي

[1] : جعفـــري مبارك، الحياة الاجتماعية والإقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، أدرار، الجزائر، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، د.ط، د.س، ص 367.

[2] : أفـــريد بالحاج وبوسليم صالح، تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلّة روافـــد للبحوث والدّراسات، ع : 02، جامعة غرداية، (2017م)، ص ص 93 - 124.

[3] : إبـــراهيم لمين، المرجع السابق، ص 93.

[4] : عبد القـــادر زيادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.س، ص ص 35 - 39.

خاصةً في المناطق الحارّة؛ فكانت مادّة الشاي والسكّر تأتي لأسواق توات من عدّة مناطق سواء من أسواق المغرب الأقصى أو أسواق الشمال الجزائري أو من غدامس وحتّى القهوة كانت تصل إلى توات من هذه المناطق، وهذا ما أثار دهشة المستكشف "رولف" عندما رأى القهوة في تديكلت بعين صالح، وذكر أنّها ترد إلى عين صالح من غدامس ومن أسواق توات تصدّر الشاي والسكّر إلى السودان الغربي، وقد أفتى علماء الأزواد بجواز بيع السكّر والشاي مجتمعان[1].

9.5 الأبسطـــة والأقمشة : اشتهرت منطقة توات بصناعة النسيج أو الأبسطة المعروفة بـ : "الدكالي"[2]؛ فكانت أبسطة الدكالي ترى رواجاً كبيراً في أسواق السودان الغربي، بحيث يعتبر امتلاك الدّكالي التواتي في تنبكتو مظهر من مظاهر التّرف والثراء، وقد دلّت نوازل البلبالي على وصول أبسطة الدكالي إلى أسواق السودان الغربي؛ فجاء في النازلة : " وسئل عن رجل له أكسية بعثها مع آخر ليبيعها له في بلد لمبروك، ثمّ أنّ المرسل إليه باعها لأجل و توفي المشتري ... "[3].

6. أسعـــار السلع المتداولة :

كانت التّجارة في توات والصحراء الكبرى عموماً، تتّم بالتبادل في معظم الأحيان نظراً لقلّة العملات، وضعف انتشارها واستعمالها؛ فكمّية من الملح مثلاً يتّم تبادلها بعشرين وزنة البشنة أو اللوبية الأهلية، وحمارٌ واحد يُباع بألفي وزنة من البشنة وهو ما يعادل عشر حمولات بعير، وإلى جانب التبادل العيني للسلع، هناك عدّة عملات شاع استعمالها في تجارة الصحراء بعضها محلّية والبعض مستوردة من الخارج منها[4].

- عملة حـــديدية : منتشرة كثيراً في مناطق غينيا، كما أكّد ذلك "ابن بطّوطة".

---

[1] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 96.

[2] : *Martin, Op_Cit, P 322.*

[3] : عبد العزيز بن محمّد البلبالي، غنية المقتصد السائل فيها وقع بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط (نسخة مصوّرة) بخزانة الشيخ محمّد باي بلعالم بآولف، أدرار، الجزائر، د.س، ص 338، نقلاً عن : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 96.

[4] : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

- عملة نحـــاسية حمراء : رقيقة وغليظة، ذات قيمة منخفضة جدّاً.
- عمـــلة الملح المعدني : الذي يقطّع إلى قطع صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال، تستغّل في البيع والشراء، كما يستغّل دقيق الملح نفسه خاصّةً في ولاته.
- الكـــوري "*Couris*" : وهي عملة فارسية وهندية، ومستوردة قيمتها منخفضة جدّاً، بحيث أنّ ألف كوري تساوي 0,75 فرنكاً[1].
- عملـــة ذهبية : على شكل قطع أو تبر الذهب.
- الـــدراخمة : وهي عملة مستوردة من الخارج من طرف التّجار.
- الدينـــار : الشائع لاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- المثقـــال الذهبي : ويساوي 19 فرنكـــاً في تمبكتو.
- المجيـــدي : ويساوي 4,5 فرنك.
- المحبـــوب الذهبي : الشائع الإستعمال في بلدان المغرب العربي.
- الموزونـــة الفضّية : الشائعة لاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- الصـــائمة النحاسية : الشائعة لاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- الدورو الفضّـــي : الشائع الإستعمال في بلدان المغرب العربي[2].
- البينتـــو "*Pinto*" : وهي عملـــة فضّية أجنبية[3].

وعن أسعار السلع والبضائع، أورد "كوداري" نموذجاً لأرباح تجارة القوافل الصحراوية، وذكر أنّ الحصان الجيّد الذي يساوي 30 دوخة "240 فرنكاً" في الشمال يُباع في السودان بعدد 17 عبداً أسود، كما ذكر أنّ سعر العبد الذكر 20 دوخة وسعر الأنثى 15 دوخة[4]؛ وحسب الرّحالة "بوزو" تشتري البضائع الآتية من السودان بالأسعار الآتية :

---

[1] : يحـــي بوعزيز، مع تاريخ الجـــزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، د.ط، 1999م، ص 46.

[2] : نفسه، ص 48.

[3] : نفسه، الصفحة نفسها.

[4] *: HenriStuchi, Le Commerce De La France Avec Le Soudan, Paris, Colonel, 1864, Pp 21 - 28.*

- العـــاج : من 200 إلى 220 ألف كوري للقنطار الطرابلسي "250 كلغ"، وهو ما يعادل 200 إلى 220 فرنك.
- ريـــش النعام : من 50 إلى 60 ألف كوري للكيلوغرام أو 56 إلى 60 فـــرنك.
- تبر الذّهب : من 07 إلى 08 آلاف كوري للمثقـــال.
- العـــبد الذكر : من 120 إلى 130 ألف كوري؛ أي 130 فـــرنك، وتباع في طرابلس بالأسعار الآتية :
  * العـــاج :من 200 إلى 300 محبوب للقنطـــار.
  * ريـــش النعام : من 05 إلى 05 وربع محبوب للكيـــلو غرام.
  * الذّهب : من 03 محبوب للمثقـــال أو 13 فرنكاً[1].
  * العـــبد الذكر : من 70 إلى 80 محبـــوب.

إلى جانب ذلك يدفع التّجار ضرائب الجمارك في الذّهاب والإيّاب على الشكل الآتي :

- في غـــات : خلال الذهاب 1 مجيدي للحمولة "4,5 فرنك"، وخلال العودة 02 مجيدي 09 فرنك.
- في كـــانو : خلال الذهاب 25 فرنك للحمولة، وخلال العودة يدفعون 20 فرنك.
- في زنـــدر : خلال العودة بالنسبة للعاج؛ وريش النعام 20 فرنك للحمولة[2].

7. أدوات الكيـــل :

- المدّ : المقـــدّر بحفنة باليدين المتوسطتين، يستعمله التّجار والعامّة عند كيل المواد الجافّة، كـ : التمر؛ والحبوب، يكثر استعماله عند إخراج الزكاة صبيحة عيد الفطـــر.
- الصـــاع : أو الرابعة تســـاوي أربعة أضعـــاف المد.
- القصعـــة : تستعمل بإقليم توات وتعادل 2,5 كلغ.
- المـــزود : جلد من الغنم أو البقـــر يعادل خمسين أو ثمانين كيلوغراماً حسب المادة.

[1] : خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 - 47.

[2] : نفسه، الصفحتين نفسهما

- الحمـــل : يعادل ستّين (60) صـــاع[1].

8. **أدوات القيـــاس :**

- الـــذراع : وهو وحدة الطول، ويحدّد الذراع ما بين الرمفق ونهاية الوسطى، يساوي خمسين سنتمتراً في المتوسّط، وتماثله القامة التي يتراوح طولها من 0,47 – 0,55 سنتيم؛ فكلّ سبع وعشرين قالة، يسمّونها بـ : "الأزواد سابو، رصو"، وكلّ أربعين قالة يطلقون عليها "باهسينا" أو "بيصة"، وكلّ ستّين قالة تعرف بـ : "تون"، وكلّ خمس وستّين قالة تسمّى بـ : "ساطورة".
- القـــامة : فهي طول الرّجل المتوسّط، وتساوي في العادة 170 سنتيم[2].
- الشبـــر : وهو مسافة بين الخنصر والإبهام عندما تكون اليد اليمنى مفتوحة، وهو ما يعادل 21,5 سم.
- الشبر :وهو المسافة بين السبّابة والإبهام في حالة انفتاح اليد اليمنى ويساوي 17 سم.
- القـــدم : لقياس الأرض وتحسب قدماً بعد أخرى، ويستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال.
- الحبـــل : لقياس الأرض أيضاً وطوله 10 أمتـــار.
- الميـــل : مسافة 1920 متـــر.
- الفرســـخ : تعـــادل ثلاثة أميال.
- البـــريد : ساعة واحدة بالسير المتوسط بالحصان[3].
- الحبة : وحدة لقياس الماء عبارةً عن ثقب في لوحة من النحاس تساوي حجم الإبهـــام طولها تسعة (09) مليمتر، يمّر بها في الدقيقة ثلاثة لترات من الماء، أمّا الوزن؛ فقد اهتمّوا به في الأشياء الثمينة، ك : الفضّة والذّهب التي توزن بميزان صغير، وقبل الوزن يجرّبون الميزان بحبوب من القمح، ومن النّادر أن يجد الفرد الأوزان بصروفها، وهي جميعها من أحجار مختلفة ليست مؤشّرة من طرف سلطة، لكن مراقبة من قبل وجهاء المدينة[4].

---

[1] : *Avoir Bozsodi, Op_ Cit, Pp 18 - 21.*

[2] : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

[3] : *Avoir Bozsodi, Op_ Cit, Pp 18 - 21.*

[4] : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

9. أدوات الـــوزن :

- الأوقـــية : تعادل في المتوسّط 27,5 غـــرام.
- الرطـــل : يساوي في الغالب 500 غرام.

وتتّخذ الأوزان الدقيقة التي كانت تستعمل في وزن مسحوق الذّهب أشكالاً ومعايير متباينة، وهي في الحقيقة أجزاء من المثقال الذي كان يعادل 04 غ ، وقد حملت تلك الأوزان أسماء سودانية محلّية، وهي : الباني؛ الصودو؛ والثلث؛ والدياري؛ والعروبو؛ والعروباس[1].

إنّ التّجارة في الصحراء لم تكن تخضع لإجراءات الحدود من التفتيش والتعريفة الجمركية؛ فإنّ التّاجر يواجه المخاطر في طريقه –كما ذكرنا سالفاً– فالقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، وهي مضطرّة لسلوك طرق معيّنة، تقع على جنباتها نقاط المياه، وهذا الإعتبار يسهّل كثيراً مهمّة قطّاع الطريق والقبائل التي تعيش على السلب والنهب، على أنّ الطرق التجارية كانت تتمتّع عادةً بحماية الفعّالة من بعض القبائل التي يهمّها استمرار تيّار التبادل التجاري، بمدّها بما تحتاج إليه منتجات الخارج، بل إنّ حالة الأمن في الطرق التجارية بلغت في بعض المناطق درجةً قال عنها المستكشف "ديفيرلي" أنّه : "حينما يعجز الجمل عن حمل عينه يودع التاجر ذلك الحمل على حافّة الطريق وهو واثقٌ من أنّه سيجده في مكانه عند عودته من رحلته، ولو استغرقت عاما كاملاً "[2].

وكبار التّجار يحصلون على ضمانات للأمن بعدما يدفعون أتاوى مهمّة للقبائل الرّحل،. وفي مختلف أطراف الصحراء توجد مراكز عمرانية كثيرة لها أهمّيتها التجارية، وأشهر المراكز التجارية بإقليم السودان الغربي مركز تمبكتو؛ مركز جاو؛ مركز توات؛ مركز آروان[3].

[1] : *Avoir Bozsodi, Op_ Cit, Pp 18 - 21.*

[2] : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

[3] : نفسه، الصفحتين نفسهما.

03: أهمّية الأسواق الداخلية التّجارية.

لعبت الأسواق العامّة دوراً هامّاً في الحياة الإقتصادية عند التواتيين؛ فكانت تعدّ القلب النابض بالنشاط التجاري للبلدة، لذلك لم تخل مدينة أو قصر تواتي منه، ونظراً لما للسوق من أهمّية في تنشيط حركة البيع والشراء؛ فقد حرص كلّ صاحب سلعة على عرضها داخل السوق إمّا لبيعها أو استبدالها بسلعةٍ أخرى[1].

وعلى الرغم من أنّ السوق المدينة أو القصر له يوم أو أكثر لاقامته؛ فإنّه كان من الممكن إقامته، إذ قدمت البلدة قافلةً تجارية، حيث تقصد السوق على الفور، وتضع سلعها، وينتشر خبر مجيء القافلة إلى البلدة ويأتي التّجار بسلعهم، وتدّب الحركة ويعلو الضجيج داخل السوق، وكثيراً ما يستمّر السوق منصوباً حتّى غروب الشمس، وكذلك الحال بالنسبة لقوافل الحجّاج التي تقطع الصحراء في طريقها للأراضي الحجازية؛ فكانت غالباً ما تتّجه إلى أقرب الأسواق التواتية الواقعة على خطّ سيرها، وربّما يمكث أفراد القافلة بضعة أيّام بسوق البلدة لشراء ما يحتاجون إليه من السلع الغذائية وخاصّةً من التمور التواتية التي اشتهرت برخصها[2].

من أهّم الأسواق، نذكر سوق تيميمون، حيث كان أهّم أسواق مقاطعة قورارة؛ فقد تنوّعت تجارتها من عبيد؛ ريش النعام؛ العاج؛ اللّحوم المجفّفة؛ والجلود؛ التمور؛ الحنّة؛ والمصنوعات البدوية كـ : البرانس؛ الأغطية، وأيضاً هناك سوقي مدينة تمنطيط وأدرار، وسوق مقاطعة رقان في أقصى جنوب المنطقة[3].

ويصف لنا "العياشي" في رحلته سوق مقاطعة تسايت الذي يقام بمدينة "برتكان" عندما مرّ بها عام 1211هـ/1795م في طريقه لتأدية فريضة الحجّ؛ فيقول "وأقمنا بها ستّة أيّام وبعنا بها خيلنا، وما ضعف من ايانا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر، وبها من التّمر أنواعٌ كثيرة، ووجدنا التّمر فيها رخيصاً[4].

---

[1] : فـــرج محمـــود فرج، المرجع السابق، ص 77.

[2] : نفسه، ص 78.

[3]: نفسه ، ص 79

4 :العيـــاشي، المصدر السابق، ج01، ص 20.

أمّا "الكومندارديورثر"؛ فقد بيّن محاضرته بأنّ المدينة "برتكان"، فقدت الكثير من نشاطها الإقتصادي في نهاية القرن التاسع عشر، وربّما كانت مرجع ذلك إلى اتّجاه القوافل القادمة من الشمال والغرب إلى سوق مدينة أدرار بدلاً من اتّجاهها إلى أسواق تسايت، حيث أصبح سوق أدرار يحتّل مركزاً هامّاً في مضمار حركة البيع والشراء في هذا الوقت[1].

وطالما نحن بصدد الحديث عن التجارة الداخلية للإقليم؛ فينبغي لنا أن نذكر أهّم الأسواق ونشاط كلّ منها، لما لها من أهمّية في تنشيط الحركة الإقتصادية للمقاطعة، بل للمنطقة بكاملها، ونذكر أوّلاً سوق مدينة تيميمون، حيث كان من أهّم أسواق مقاطعة القورارة، وكذلك يحتّل شهرةً كبيرة خارج توات؛ فقد كثرت السلع المعروضة به، وتنوّعت من عبد؛ وريش النعام؛ والعاج؛ واللحوم المجفّفة؛ والجلود؛ بالإضافة إلى السلع التواتية، ك : التمور على اختلاف أنواعها؛ والحناء؛ والطباق؛ والشمّة النوائية المشهورة، ومن المصنوعات البدوية الأبسطة "الدكالي"؛ والبرانس؛ والأغطية؛ والقفف؛ والسلال، وكذلك ملح الطعام[2]. حوانيت التجاريين بسوق تمنطيط كان يبلغ ثلاثمائة وستّين حانوتاً، ومثلها من حوانيت الحدادين، ومثلها أيضاً حوانيت صنّاع الحلّي[3].

هذا بخلاف صانعي الأحذية والمحافظ الجلدية وصانعي الكوالين، وغيرهم، وقبل أن نترك منطقة توات، علينا أن نشير إلى أحد الأسواق الهامّة الواقعة في أقصى جنوب المنطقة، وهو سوق مقاطعة رقّان، وقد كان هذا السوق يُقام بمدينة "تمدنين"[4] مركز المقاطعة، وبرزت أهمّيته في كونه يستقبل بعض القوافل القادمة من أسواق السودان الغربي؛ وبالإضافة إلى ذلك أنّه السوق الرئيسي الذي تقومه قبائل تاوديني؛ والمبروك؛ وأهميدان؛ وأدرار؛ ايفاريس، وكانت هذه القبائل تبادل سلعها من الإبل؛ والحمير؛

[1] : فـــرج محمود فـرج، المرجع السابق، ص 74.

[2] : نفسه، ص 75.

[3] : ابن بـــابا حيدة، المصدر السابق، ص 03.

[4] : تمدنين : هي إحدى القرى التابعة لقصور زجمي من قصور المنطقة الوسطى بمنطقة التوات، نقلاً عن : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 143.

وخراف الدمّان في مقابل التمور التواتية، وممّا يذكر في هذا الشأن؛ أنّ تجّار هذه القبائل كانوا يتخلّصون من نوى التمور التي يشترونها لتخفيف وزن ما يحملونه[1].

وإذا انتقلنا إلى ثالث المناطقالتواتية، وهي منطقة تيديكلت، الواقعة في جنوب شرق الإقليم، نجدها تحتّل مكانةً هامّة جدّاً في تجارة الصحراء، وقد تركّز النشاط التّجاري لهذه المنطقة في مقاطعة عين صالح؛ فسوقها الرئيسي الواقع بأكبر قصورها وهو "قصر العرب الكبير" كان يعدّ نقطةً هامّة لالتقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء في كافّة الإتّجاهات[2]؛ وقد كانت هذه القوافل تضع حمولاتها بسوق القصر الكبير، إمّا لبيعها أو الإستئناف السير بها إلى أسواق أخرى، وأصبح هذا السوق منطقة عبور "ترانزيت" بمفهوم عصرها، ولهذا السبب وغيره قدم إليه التّجارومثّلوا الشركات التجارية؛ والفحم النباتي؛ والجير؛ والجبس – وغيره، وكان هذا السوق تقصده القوافل القادمة من المنيعة؛ وغرداية؛ وسعيدة؛ ومشرية؛ وعين الصفراء لمبادلة سلعها من القهوة؛ والسكّر؛ والشمّع؛ والصابون بسلع هذه السوق ...

وإذا ما انتقلنا إلى منطقة توات، نجد سوقي مدينتي تمنطيط وأدرار من أنشط أسواق المنطقة في هذه الفترة. وقد اكتسب سوق مدينة تمنطيط شهرة وأهمّية عندما كانت هذه المدينة عاصمة للإقليم النواتي، وذلك قبل القرن الثامن عشر ميلادي، ويعدّ هذا السوق من أقدم الأسواق النواتية على الإطلاق، وقد أشار إلى ذلك كلّ من "ابن خلدون"[3]؛ وصاحب كتاب "القول البسيط"، وقد قال الأخير بهذا الصدد : " ... فاعلم أنّ مدينة تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، ولقد اجتمع فيها العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتّجارات والبضائع، وكاد لا يستغني عنها غنّي ولا زاهد ... ولا يقنع ذو سلعة عرضها إلاّ بسعرها ... "[4].

وشيئاً فشيئاً، صار سوق مدينة أدرار يزاحم سوق مدينة تمنطيط في الأهمّية، وذلك ابتداءاً من القرن الثامن عشر الميلادي؛ إلاّ أنّ سوق تمنطيط لم يفقد أهمّيته القديمة، وظلّ يقوم بدوره الإقتصادي

[1] : فـرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 77.
[2]: نفسه، ص 78.
[3] : ابـــن خلدون، المصدر السابق، ج02، ص 95.
[4] : ابن بـــابا حيدة ، المرجع السابق ، ص 03.

حتّى زيارة "جيرهارد رولف"؛ فقد وصف لنا ما كان به من سلع مجلوبة من أسواق السودان وبلاد المغرب داخل الحوانيت المنتشرة على جانبي الطريق، كما يذكر أنّ بعض أصحاب هذه الحوانيت يمارسون شتّى الحرف والصناعات اليدوية، كالتّجارة والحدادة؛ وحيّاكة الملابس وتطريزها[1]؛ ومن أهّم ما يذكره صاحب كتاب "القول البسيط"؛ أنّ عدد الكبرى التي أصبح لها مراكز ثابتة داخل هذا السوق "غرف تجارية"، وكانت السلع والبضائع المعروضة متنوّعة ورخيصة الأثمان في نفس الوقت؛ فمن أسواق السودان الغربي كان يأتي العبيد؛ وريش النعام؛ والعاج؛ والذّهب الخام؛ والأقطان؛ والأقمشة، ومن أسواق طرابلس وغات، تأتي القهوة؛ والسكّر؛ والقنفل الأحمر، ومن أسواق التّل الجزائري تأتي السكاكين؛ والمرايا؛ وإبر الخياطة؛ والمجوهرات، ومن أسواق المغرب الأقصى تأتي الملابس المطرّزة؛ والأسلحة النارية والخيل، هذا بخلاف التمّور؛ والأبسطة؛ والملابس النوائية.

وقد شاهد كلّ ذلك الرّحالة الألماني "جيرهارد رولف" عندما توجّه إلى منطقة تيديكلت، وزار سوقها الكبير "القصر الكبير"، ووصف لنا المعروضات ومدى النشاط التجاري الذي يحتلّه هذا السوق بالنسبة لتجارة الصحراء[2]. وفي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، ورغم احتلال فرنسا للشمال الجزائري، ظلّ سوق قصر العرب الكبير يحتفظ بهذه الأهمّية التّجارية، بدليل ما أشار إليه "ديورثر" في محاضرته من دعوة فرنسا إلى الإحتفاظ بهذه الميزة التجارية لهذا السوق بعد أن تحتّل الصحراء الجزائرية بأكملها[3].

وتشير إلى طبيعة المعاملات التّجارية داخل الأسواق النوائية، وخاصّةً عمليتي البيع والشراء، حيث كانت تتّم بطريقتين، الأولى تتّم عن طريق مبادلة السلع ببعضها، والثانية البيع بالنقد، وفي الطريقة الأولى يترك للطرفين تحديد قيمة كلّ سلعة أمام الأخرى، وغالباً ما تخضع عملية التجديد المذكورة للعرض والطلب والسعر اليومي للسلعة[4].

[1] : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 77.

[2] : *Malte, Résumé Historique Et Geographique, Paris, 1866, P 99.*

[3] : *Deporter, La Question Du Touate Sahara Algerienne, Alger, 1891, P 37.*

[4] : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 78.

وكانت السلعة الرئيسية التي يتّم التبادل عليها لدى التّجار النوائيين، هي التّمور بجميع أصنافها، ثمّ الطباق ؛ والحناء؛ والمصنوعات اليدوية، نظير ما يحتاجون إليه من السلع التي يحييها تجّار الشمال، كـ : الصابون؛ والشمع؛ والدقيق؛ والخراف الحيّة؛ والزيوت؛ والسمن؛ والصوف؛ والقطن المغزول، أمّا الطريقة التعامل الثانية؛ فتتّم بالنقد المحلّي أو الخارجي، وغالباً ما يكون ذلك بين التّاجر والمستهلك مباشرةً، ولم تخل الأسواق الكبرى من وجود سماسرة ومكاتب تجارية لاتمام العمليات التّجارية لحساب غيرهم بموجب توكيلات صادرة أو معتمدة من قاضي المدينة؛ بالإضافة إلى وجود صرّافين يقومون بتقدير وتغيير العملات الأجنبية نظير عمولة لهم[1].

وكانت الأسواق العامّة والحوانيت التّجارية بالإقليم النوائي تخضع لرقابة قاضي البلدة؛ فقد كان من ضمن واجبات قاضي البلدة الإشراف على الموازين والمكايل التي يستخدمها التّجار داخل الأسواق العامّة، وهذا طبعاً لنتأكّد من صحّتها، وكذلك كان له الحق في بحث أي شكوى تقدّم إليه تتعلّق بالنزاع في أمور البيع والشراء أو الغشّ في السلعة المباعة، وبذلك ساد الأسواق النوائية جوّ من الثّقة والأمان[2].

04: أثر التّجارة التواتية على الواقع الاجتماعي والثقافي.

لقد ساهمت تجارة القوافل وعلى مختلف الأصعدة في عمارة، وتطوّر منطقة توات عبر مختلف العصور، وجعلت منها حاضرة من الحواضر الصحراوية الكبرى؛ ففي الجانب الإقتصادي أدّى وجود العبيدي بإعـــداد كبيرة إلى وفرة اليد العاملة، حيث كانوا يستخدمون في حفر الفقاقير والتي تعدّ عصب الحياة في منطقة جافّة وحارّة، وبالفقاقير ازدهر إقتصاد الكفاف، وتوسّعت الواحات، ونما إقتصاد المنطقة[3]؛ وفي الجانب الاجتماعي أدّت تجارة القوافل إلى انتقال الكثير من الأفراد والجماعات إلى توات والإستقرار بها والعكس صحيح، وانتقلت معها نتيجة ذلك الكثير من العادات والتقاليد.

[1] : فـــرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 77.

[2] : نفســه، ص 78.

[3] : خيــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

وفي الجانب الثقافي أسهمت تجارة القوافل في الحركة العلمية داخل المنطقة وخارجها، حيث عادةً ما تكون القافلة محمّلة بالكتب والمخطوطات التي راجت تجارتها في ذلك العصر، بفضل ما كانت تدره من أرباح تفوق أرباح الكثير من السلع[1]؛ بالإضافة إلى تمتّع التّجار بثقافة علمية واسعة أهّلتهم للقيام بدور علمي وثقافي إلى جانب نشاطهم التجاري أو ما يعرف بـ : "ظاهرة الفقهاء التّجار" الذين آثروا العمل بالتّجارة لما كانت تدره من أرباح، مقارنةً بالتدريس والقضاء، واستمرّ نشاطهم العلمي الذي واصلوا ممارسته انطلاقاً من التجارة، وفاق تأثيرهم العلمي في بعض الأحيان تأثير من تفرّغوا للعلم، وقد تعرف الأفارقة على الكثير من التّجار التواتيين الفقهاء، مثل : الشيخ "محمّد فتحا ابن أبي محمّد الأمريني التواتي" الذي درس في فاس، ورفض منصب القضاء بعد أن قال مقولته المشهورة : "لأنّ يحاسبني الله على ألف قنطار، أيسر عليّ أن يسألني عن قضية فاصلة بين اثنين "[2].

كما كان لبعض التّجار التواتيين زوايا ومدارس قاموا بإنشائها أو كانوا طريقين ينفقون بسخاء على طريقتهم، مثل : الشيخ" سيدي علي بن حنيني" (1115هـ/1703م) صاحبا الزاوية المشهورة "بزاقلوا"، والذي كان يملك قافلة وصل تعدادها تسعمائة جمل تتاجر في بلاد السودان، وكانت أرباحها تتّفق على طلبة الزاوية وعابري السبيل في توات وغيرها[3].

كما ساهمت تجارة القوافل في ربط وشائج الاتّصال بين توات ومختلف المناطق، خاصّةً السودان الغربي، وأصبح التّجار التواتيّون معرفون في الأسواق، ولهم أحياء خاصّة بهم في المدن السودان الغربي، ويبرز هذا؛ الرسالة التي بعثها سلطان "برنوكانديب ولد جامشاش" إلى المشايخ الكونتيين وإلى كلّ إخوانهم ساكني توات، والرسالة وثيقة مخطوط عثر عليها الضابط مرّتان في توات[4]؛ يقول فيها :

---

[1] : الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 167.

[2] : محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني مخطوط، د.ر، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص 50، نقلاً عن : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

[3] : محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، د.ر، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص 49، نقلاً عن : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 - 47.

[4] : نفسه، الصفحتين نفسهما.

"كيف تركتم عادةً آبائكم و عزفتم عن القدوم إلى بلدنا ؟ فمنذ المعاهدة مع السلطان سيدنا سقرا لم تعودوا لبلدنا، ومن المؤكّد قسماً بالله أنّي لم أسبّب لكم، ولن أتسبّب في أيذ نوع من الأذى أقبلوا إذن كما كانت العادة : يكون أي واحد من أولئك الذين يغدون من توات مزوّداً برسالة منكم مضطرا لدفع الضرائب؛ لأنّ البلد بلدكم، مثلما لآبائكم من قبل، " إنّ القارئ لهذه الرسالة يتمعّن ليستشف مدى المكانة التي حُظي بها التواتيّون في إفريقيا، وكيف كان الملوك والأمراء، يقدّمون لهم أكبر التحفيز والدّعم لحثّهم على المجيء "[1].

غني إقليم توات بالمراكز والدور الثقافي خلال 18 م، وازدهار النشاط العلمي والفكري بها، ومرّد ذلك تراكم المعطيات التاريخية، شكّلت خلفيات متراكمة لانبعاث النهضة الثقافية الشاملة المذكورة، حيث توزّعت المراكز والمدارس والزوايا عبر ربوع القصور التواتية[2] من شمالها إلى جنوبها، مع تسجيل نوع من التمايز في المستويات والقدرات، أملته طبيعة كل قصر وخصوصياته، وهذه النهضة الثقافية تجاوزت الحدود الجغرافية التواتية، وتداخلت في كثير من معطياتها مع الحواضر الثقافية المحيطة بتوات تأثّراً وتأثيراً؛ فتوطّدت العلاقات الثقافية إثرها، ومثل الأعلام التواتيّون قواسم مشتركة فيما بينها، من خلال تنقلاتهم وزيارتهم محمّلين بشتّى صنوف العلم والمعرفة[3].

[1] : خيـــر الدين شترة، المرجع السابق، ص ص 36 -47.

[2] : أحمد بوسعـــيد، المرجع السابق، ص 153.

[3] : نفســه، الصفحة نفسها.

خلاصة الفصل الثالث :

يبرز من خلال هذا الفصل الدور المحوري الذي باشرت به منطقة توات في تنشيط الحركة التجارية عبر الصحراء الكبرى خلال العصر الحديث، مستفيدةً من مكانتها الجغرافية ومكانتها الإقتصادية؛ فقد شكّلت الأسواق التجارية في توات مراكز ديناميكية للتبادل، لاسيّما في قصور تمنطيط وتيمي وغيرها، حيث اجتمع فيها تجّار من مختلف الجهات، ما أضفى على هذه الأسواق طابعاً إقليمياً يتجاوز حدود المنطقة، أمّا السلع والبضائع التي تداولتها تلك الأسواق؛ فقد جسّدت عمق الروابط بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، إذ تنوّعت بين المنتجات المحلّية، كـ : التمور والحبوب، والسلع المستوردة من الجنوب كـ : الذّهب والعاج، ومن الشمال المنسوجات والتّوابل، ما يعكس الحيوية الإقتصادية التي ميّزت المنطقة، كما برزت أهمّية الأسواق الداخلية التّجارية في توات من خلال دورها في توفير الإحتياجات الأساسية للسكّان، وضمان التوازن بين الإنتاج والإستهلاك المحلّي

إلى جانب دورها في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات والقبائل، ولم يقتصر التأثير على الجانب التجاري فحسب، بل امتدّ إلى الواقع الإجتماعي والثقافي، حيث ساهم التبادل بين مختلف الأعراف والثقافات في تشكيل مجتمع غنّي ومتعدّد، وامتزجت فيه العادات واللّغات، وتداخلت فيه المؤثرات الإفريقية؛ والعربية؛ والإسلامية، كما أسهمت الحركة العلمية والدينية في دعم هذا البعد الحضاري، ممّا جعل من توات فضاءاً ثقافياً وروحياً فاعلا في المنطقة.

الخـــاتمة

الخـــاتمة :

وفي ختام دراستنا لموضوع :"دور النشاط التجاري لإقليم توات خلال العصر الحديث"، توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمّها :

- يتوضّح إقليم توات في الجهة الغربية من الصحراء الكبرى، ويدخل في نطاقه الأقاليم الثلاثة، وهي : تيكورارين؛ وتيدكلت؛ وتوات، وقد اختلفت آراء المؤرّخين حول أصول تسميته؛ فمنهم من أرجع أصل تسميته إلى "عقبة بن نافع" عند فتحه لبلاد المغرب، وعند عودته لـ : واد نون؛ ودرعة؛ وسجلماسة، حتّى وصل إلى توات فسألهم : هل تواتي لنفي العصاة ؟ ومنهم من أرجع أصل تسميته؛ لأنّها تواتي للعبادة.
- إنّ إقليـــم توات يقع في الصحراء الكبرى، وهو سوق كبير للتجارة الصحراوية تحطّ به القوافل التجارية؛ وبالتالي هو عبارةٌ عن محطّة تجارية تقف فيه القوافل الآتية من مختلف منـــاطق إفريقيا، وهذا يعني أنّه همزة وصل بين الشمال الصحراء وجنوبها؛ وشرقها؛ وغربها.
- وأنّ إقليم توات يعتبر نقطة اتّصال بين دول شمـــال إفريقيا ودول جنوب الصحراء، هذا الاتّصال سهّلته مختلف المسالك والدروب التي ربطته بمراكز تجارته في دول الشمال، مثل : تلمسان؛ وطرابلس، وهذه المسالك كانت تسير بها القوافل التجارية المحمّلة بمختلف السلع، وعمل التواتيين في التجارة الصحراوية كتجّار أو كوسطـــاء.
- لعبت منطقة توات دوراً كبيراً في تجارة القوافل الصحراوية، بوصفها إحدى مراكز العبور الأساسية.
- إنّ مـــا أشار غليه الرّحالة من كثرة الأسواق والسلع بتوات، ورخص أثمانها، وانتظام قدوم وخروج القوافل منها، واجتماعهم بها، دليلاً على التطوّر الإقتصادي وازدهار النشاط التجاري بها، وتحوّلها من مجرّد نقطة عبور في الصحراء إلى سوق تجارية مربحة يقصدها التجّار من كلّ حدبٍ وصوبٍ.

الخـــاتمة :

- اشتهرت في توات الكثير من الأسواق، مثل : تمنطيط؛ تيكورارين؛ تيمي؛ تسابيت؛ بودة؛ عين صالح، ومن أهمّ السلع : التمر؛ التبغ؛ الذهب؛ العبيد؛ العاج؛ ريش النعام؛ الكتب والمخطوطات.
- لعبت تجارة القوافل دوراً كبيراً في ازدهار المنطقة وتطوّرها في مختلف المجالات، وجعلت منها ملجأ للعلماء؛ التجّار؛ والحرفيين، ممن ضاقت بهم السبل العيش في أماكن أخرى، حيث استقرّوا في توات، وأسهموا في نهضتها وتطوّرها.
- يتبيّن أنّ هذه المنطقة لم تكن مجرّد محطّة عابرة ضمن الشبكة التجارية الصحراوية، بل كانت مركزاً استراتيجياً له وزنه الإقتصادي؛ والثقافي؛ والديني؛ فقد ساهم موقعها الجغرافي وسكّانها النشطون في جعلها نقطة وصل بين شمـــال إفريقيا وبلدان ما وراء الصحراء، ممّا جعلها تلعب دوراً حيوياً في تنشيط حركة القوافل وتبـــادل السلع.
- ومع تعمّق الدراسة، يظهر أنّ توات لم تكن فقط معبراً مادياً للتجارة، بل أيضاً فضاءاً حضارياً ساهم في ترسيخ الروابط بين شعوب وثقافات مختلفة.
- إنّ الأهمّية التجارية لتوات كانت إحدى الأسباب الرئيسية وراء تزايد الأطماع حولها، ومحاولة ضمّها والسيطرة عليها من طرف البعض.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: الموقع الجغرافي لإقليم توات[1].

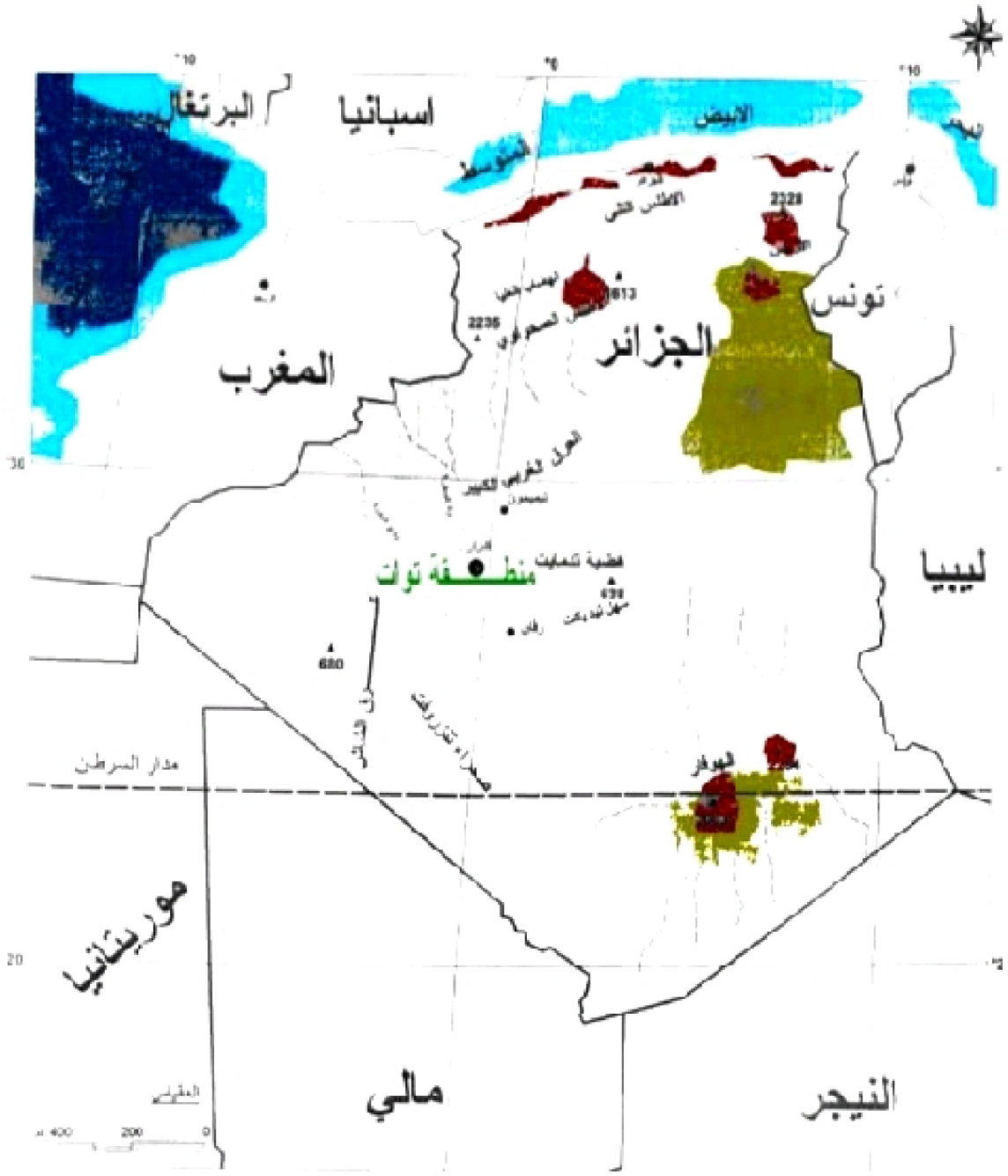

[1] : أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 158.

الملحق رقم 02: مناطق توات الثلاث وعواصمها[1].

مناطق توات الثلاث وعواصمها

[1] : أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 158.

الملحق رقم 03: خريطة تبين أهم قصور التواتية.[1].

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 35.

الملحق رقم 04: الخصائص الطبيعية لمنطقة توات[1].

[1] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 16

الملحق رقم 05: قسرية لتوزيع مياه القفارة[1].

[1] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 163.

الملحق رقم 06: خريطة تجرز توسط إقليم توات طرق القوافل التجانية الكبري بما فيها الطريق الرابطبيت توات – ولاته عبر أروان وتمبكتو[1].

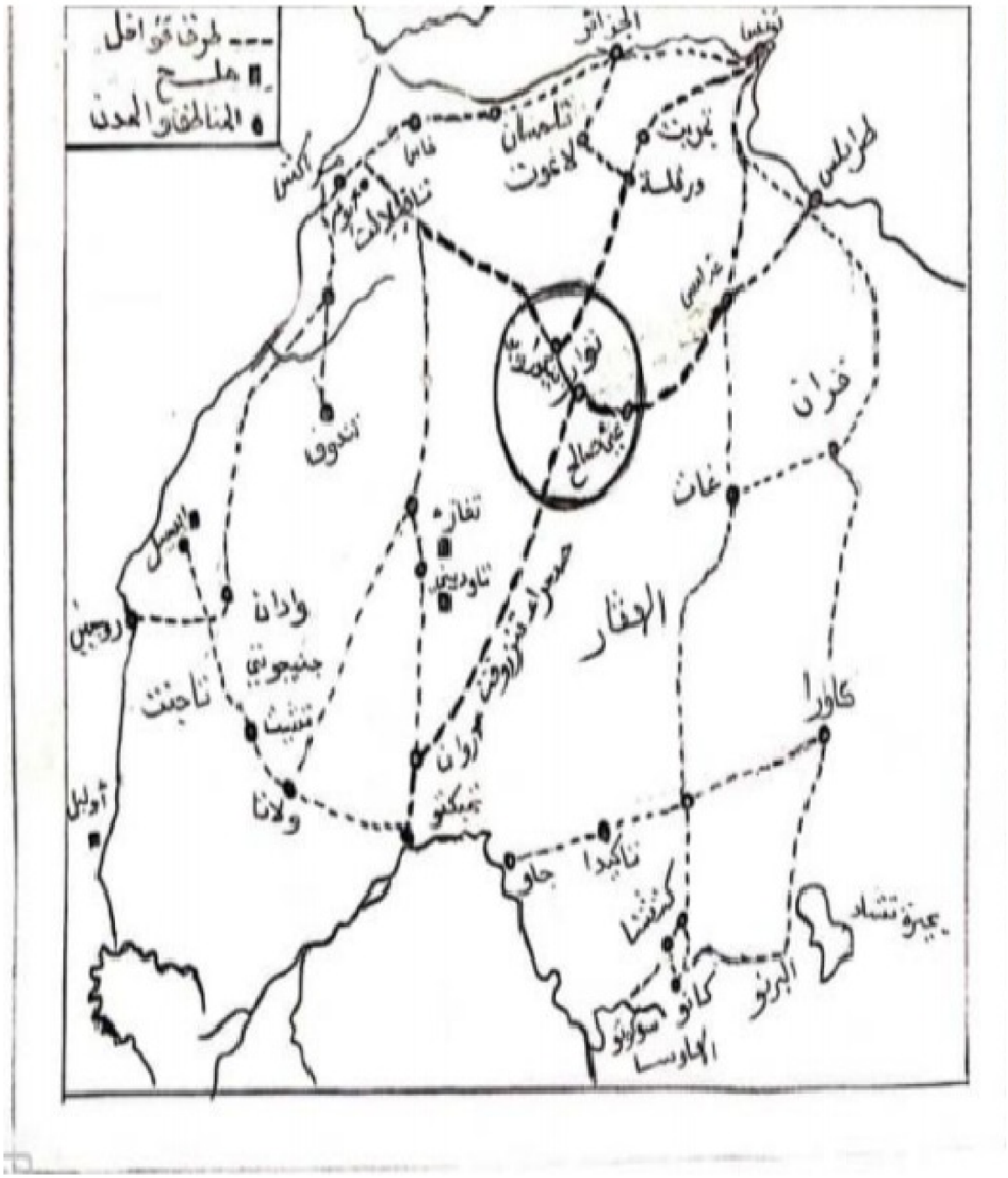

[1] : فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 76.

الملحق رقم 07: الطرق التجارية التي كانت تربط منطقة توات بالمراكز التجارية جنوب الصحراء بشمال شرق افريقيا في القرن التاسع عشر[1].

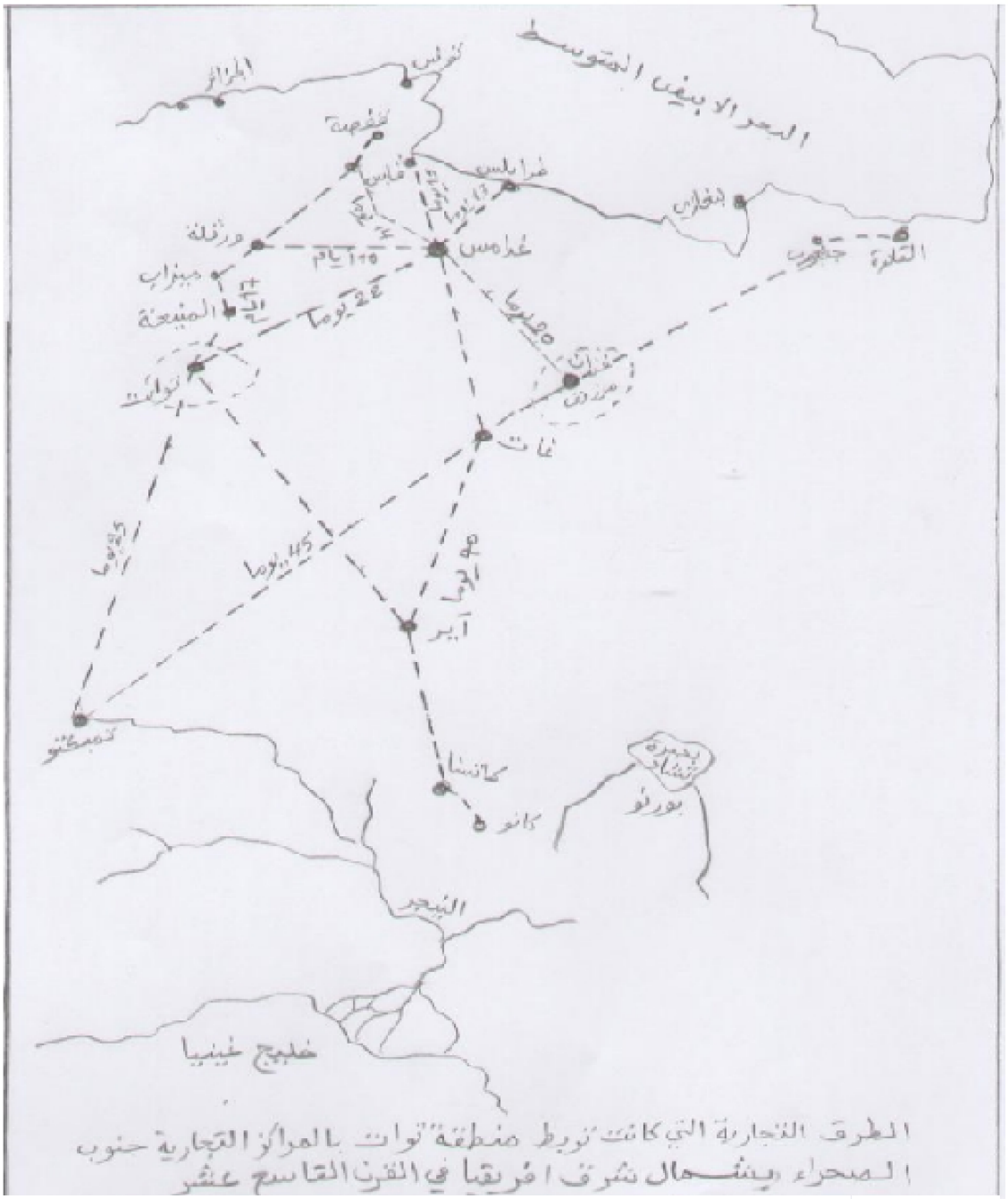

الطرق التجارية التي كانت تربط منطقة توات بالمراكز التجارية جنوب الصحراء بشمال شرق افريقيا في القرن التاسع عشر

[1] : مبـــارك جعفري وعبو الطاهر، المرجع السابق، ص 16.

الصورة رقم: 08 صورة توضح القوافل التحارية المحملة بالبضائع العابرة للصحراء نحوا سواق السودان الغربي[1].

[1] : إبـــراهيم حامد لمين، المرجع السابق، ص 163.

قـــــائمة الجـــداول :

الجـــدول رقم (01) : البضائع والسلع كانت تحملها قافلة عين الصفراء الوارد على سوق تيجورارين.

نـــوع السلعة	الحجـــم أو العـــدد	الثمـــن بالفرنك
خرفان الضـــأن	558	15
السمـــن	320	02
الجبـــن	530	02
جرات الصـــوف	870	02,5
الدقـــيق	69	80
القمـــح	17	30
الفـــول الجاف	1360	30
الشعيـــر	13	20
الـــزيت	20	1,20
الشحـــم	62	01
الصـــابون	30	60
الشمـــع	50	50

الجـــدول رقم (02) : السلـــع التي عادت بها قافلة عين الصفـــراء من أسواق تـــوات[1].

نـــوع السلعة	الحجـــم أو العـــدد	الثمـــن بالفـــرنك
تمـــر حميرة	110 أحمـــال	60 فـــرنك للحمـــل
تمـــر تبتمـــوت	05 أحمـــال	80 فـــرنك للحمـــل
تمـــر تناصر	50 حمـــل	50 فـــرنك للحمـــل

[1] : فـــرج محمـــود فرج، المرجع السابق، ص 73.

قائمة المـــــلاحق :

الجـــدول رقم (03) : السلـــع التي كانت تحملها قافلة وهران الواردة إلى سوق تيجورارين[1].

نـــوع السلعة	القيمة بالفـــرنك	نـــوع السلعة	القيمة بالفـــرنك	نـــوع السلعة	القيمة بالفـــرنك
القمـــح	127,379	الشحـــوم	16,378	السمـــــن	46,050
فضة مضروبة	87,201	الشعيـــــر	15,280	الفـــــول	28,135
الصـــوف	77,802	ألبســـة قطنية	7,000	لحـــم مجفّف	27,405
الجبـــــن	20,192	الأغنـــــام	87,264		

الجـــدول رقم (04) : السلـــع التي عـــــادت بها قافلة وهران من أســـواق توات [2].

السلعـــــــة	القيـــــمة بالفـــرنك
التـــــمور	973,145
التـــــوابل	11,600
الحنـــــاء	11,200
الحبـــــال	4,500
الغرائر	3,000

[1] : *Martin, Les Oasis Sahariennes, Op_Cit, P 324.*
[2] : *ibid, P 324.*

قـــائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا :

✍ **قائمة المصـــــــــادر :**

✍ **المصـــادر باللغة العربية :**

1. ابن بطوطة محمّد بن عبد الله، تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح : (عبد الهادي النازي)، الرباط، أكاديمية المغربية، 1997م، ج04.
2. ابن حوقل النصيبي أبي قاسم، صورة الأرض، لبنان، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، د.ط، 1992م.
3. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1962م، ج07،
4. الأغواطي الحاج بن الدين، رحلة الأغواطي، تر : (أبو قاسم سعد الله)، أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1990م، ج02.
5. الأنصاري أبي عبد الله محمّد، فهرست الرصاع، تح وتع : (محمّد العنابي)، تونس، المكتبة العتيقة، ط01، 1967م.
6. بابا حيدة محمّد، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح : (فرج محمود فرج)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1977م.
7. السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، باريس، مطبعة بردين مدينة أنجي، طبعة هوداس، 1898م.
8. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م/1824م)، تع : (إسماعيل العربي)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1982م.
9. الصلابي علي محمّد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال الإفريقي، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط03، 2009م.
10. العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1983م.

11. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمّد، الرحلة العياشية (1663/1661م)، تح : (سليمان القرشي وسعيد الفاضلي)، الإمارات العربية المتّحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط01، 2005م، مج : 01.

12. القلاني عبد الرحيم، في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط01، د.ت.

13. القيسي أبي عبد الله محمّد بن أحمد، انس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال سيد الأعاجم والأعاجب (1633/1630م)، تح : (محمد القاسي)، د.ب، مطبعة محمد الخامس الثقافة والجامعية، د.ط، 2000م.

14. كاربخال مارمول، إفـــريقيا، تر : (محمّد حجي ومحمّد زنيبر وآخرون)، المغرب، د.ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984م، ج01.

15. مبارك جعفـــري، الحياة الاجتماعية والإقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، أدرار، الجزائر، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، د.ط، د.س.

16. الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر : (محمد حجي ومحمد الأخضر)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1983م، ج02.

قائمة المراجع باللغة العربية :

1. بلعالم باي محمد، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجيهات، الجزائر، دار هومة، د.ط، 2005م، ج01.

2. الجعفري أحمد أبا الصافي، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 07 هـ حتّى نهاية 13هـ، الجزائر، منشورات الحضارة، ط01، 2009م، ج01.

3. جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، الجـــزائر، دار السبيل، ط01، 2000م.

4. حوتية محمّد وحويتة صالح ، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة _ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلّية، د.ب، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع والترجمة، د.ط، د.ت، ج01.

5. زيادية عبد القـــادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.س.

6. الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2007م.

✍ **قائمة المـــراجع باللغة الأجنبية :**

1. *A.G.P Martin, Les Oisés Sahariennes (Gourara – Touat - Tidikelete), Alger Et Paris, 1908.*
2. *Deporter, La Question Du Touate Sahara Algerienne, Alger, 1891.*
3. *Henri Barth (1821_1865), Voyages Et Découvertes Dans L'afriqueSeptenTrionale Et Centrale Pendant Les Années 1849 A 1855, T4, Paris, 1863.*
4. *HenriStuchi, Le Commerce De La France Avec Le Soudan, Paris, Colonel, 1864.*
5. *James Richaslson (1806_1851), Routes Du Sahara Ltnéravie Dans L'interieur Du Grand Désert D'afrique De L.Martinet, Paris, 1850.*
6. *Malte, Résumé Historique Et Geographique, Paris, 1866.*

✍ **قائمة الرســـائل الجامعية :**

1. أعفيف محمد، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب الغربي توات في القرن 19 م ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، شعبة : التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمّد الخامس، الرباط، 1982م.

2. بلحاج ميلود، الحرف و الفنون الشعبية بمنطقة توات – دراسة فنية تحليلية ، مذكرة لنيل شهادة الدكتورة ، تخصص الفنون الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2019م.

3. بوتدارة سالم، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلّية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015م/2016م.

4. حامد لمين إبـــراهيم، التبـــادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي (1317/999هـ_1900/1591م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2015م/2016م.

5. حوتية عفيفة، حاضر تينجورارين _دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلّية خلال القرن 13هـ/19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، اشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2014م/2015م.

6. سعيدي خير الدين، نسيم النفخات توات والعلماء التقات _ دراسة وتحقيق مخطوط أحمد الطاهر الإدريسي، مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2013م.

7. طواهرية أم هانئ، تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين الميلاديين 18 و19 والمرأة التواتية أنموذجاً مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص : التاريخ المغاربي عبر العصور،جامعة أدرار، 2014م.

8. فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، جامعة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ ، الجزائر 1977.

9. قزان زهير، حاضرة توات المالكية أعلامها – نوازلها – خصائصها ، مذكرة لنيل شهادة الماجسيتر في العلوم الإسلامية ، تحصص فقه مالكي ، جامعة أحمد درارية ، أدرار ، 2011م.

10. كحلاوي حليمة، الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرن (14/12هـ_20/18م)، مذكرة لنيـــل شـــهادة ماجســـتير في التـــاريخ الثقـــافي الاجتمـــاعي، جامعـــة أدرار، 1437/1436هـ_2016/2015م.

11. كرزيكة علي، صناعة المخطوط الإسلامي بين القرنين 12 و13 الهجريين من خلال مخطوطات خزائن إقليم توات_دراسة تطبيقية في علم المخطوط، أطروحة دكتوراه، علم الآثار، جامعة الجزائر 02 أبو قاسم سعد الله، 2017م/2018م.

12. هرباش زاجية، الوضع الإقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و13 هـ/18 و19م، مـذكرة لنيـل شـهادة الدكتـــوراه في التـاريخ الحـديث والمعاصـر، كليـة العلـوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011م/2012م.

✍ **قائمة المجـــلات (الحوليـــات):**

1. بالحاج أفـــريد وصـالح بوسـليم ، تجـارة القوافـل بـين الجزائـر وإفريقيـا جنـوب الصـحراء في العهـد العثمـاني ودورهـا الحضـاري، مجلّـة روافـــد للبحـوث والدّراسـات، ع : 02، جامعـة غردايـة، (2017م).

2. بقـادر عبـد القـادر، جهـود علمـاء تـوات في الـدرس اللّغـوي في القـرنين الثـاني عشـر والثالـث عشـر الهجريين _ دراسة في الأنماط والأشكال، مجلّـــة الأثر، ع : 19، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، جانفي 2014م).

3. بن عزوز فريدة، أبحاث تاديوشلفيتسكي في فجر العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء الكبرى، مجلّة التـاريخ العـربي، ع : 20، مجلّة علميـة محكمّـة بالتـاريخ العـربي والفكـر الإسـلامي تصـدرها جمعية المؤرخين المغاربة، (2001م).

4. بن مـــوسى جميلة، ذهب السودان الغربي ودوره في تجارة، مجلّة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج : 09، ع : 02، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، (د.ت).

5. بوكرابيلة الزهـراء، إقليـم التـوات بـين التعريـف والتـأليف، مجلّة القرطـاس، ع : 03، قسـم التـاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، (جانفي 2017م).

6. الجنيـدي عبـد الحميـد، "إقليـم تـوات وأهميتـه في التجـارة الصـحراوية"، المجلّـة الجزائريـة للدراسـات التاريخية والقانونية، ع : 05، جامعة ابن خلدون، ملحقة قصر الشلالة، تيارت، الجزائر، (ماي 2018م).

7. رموم محفوظ، "توات الجغرافيا والمصطلح من خلال الموتوغرافيا المحلّية والأجنبية"، الحوار الفكري، ع : 12، جامعة أدرار، الجزائر، (2016م).
8. شترة خير الدين، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، دورية كان التاريخية، مج : 09، ع : 33، (سبتمبر 2016م).
9. مولاي أحمد، التّجارة والرّحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ما بين القرنين 11 و12هـ/ 17 و18م، مجلّة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع : 05، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، (2015م).

✍ **قائمة الملتقيـــــات :**

1. أعفيف محمّد ، واحات توات عبر التاريخ، مجال التواصل والتعايش، أشغال الأيام الوطنية 22 الجمعية المغربية للبحث التاريخي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، أفريل 2015م.
2. بلاطش حسيبة، الإزدهار الإقتصادي والعلمي لإقليم توات وانعكاسه على التواصل ببلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين 16 و20م، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20م، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، يومي : 15 و16 أكتوبر 2017م.
3. بوعزيز يحـــي، مع تاريخ الجـــزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، د.ط، 1999م.
4. جعفـري مبـارك وعبـو الطـاهر، منطقـة تـوات ودورهـا في تجـارة القوافـل الصـحراوية مـن 09هـ/13هـ_15م إلى 19م، الملتقى الدولي السابع "التجارة والتجار عبر التاريخ، تنظيم الجمعية التونسية المتوسّطية للدراسات التاريخية والاجتماعية والإقتصادية بمدينة المنشير الجمهورية الدونسية"، أيّام 11 و13 ديسمبر 2014م.

✍ **المعـــاجم والقواميس:**

1. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط 01، 2008م.
2. محمّد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم الجزائر، د.ب، دار الهدى، د.ط، 1998م.

فهرَس المحتويات

فهرس المحتويات

شكـــر والعرفـــان

إهـــــداء

قـــائمة المختصرات

عدد الصفحات

*****

مقدمـــــــة : _____ أ

*****

الفصل الأول : لمحـــة تاريخية وجغرافية لمنطقة توات.

1. موقـع منطقة توات._____ 07
2. التضـــاريس وطبيعة المنـــاخ._____ 13
3. أصـــل التسمية._____ 16
4. التركيبة الاجتمـــاعية لسكّان منطقة توات._____ 18

خلاصة الفصـــل الأول : _____ 22

*****

الفصل الثاني : تـــوات مركز للقـوافل التجـــارية.

1. أهمّية تـــوات في تجارة الصحـــراء._____ 24
2. عـــوامل ازدهار التجـــارة بتـــوات._____ 32
3. أهـــم الطرق التجارية المربـــوطة بإقليم توات._____ 34

خلاصة الفصـــل الثاني : _____ 38

*****

الفصل الثالث : أثـــر تـــوات في التجـــارة الصحراوية.

1. الأســـــواق التجاريـــــة._____ 40
2. السلـــــع والبضـــائع._____ 47
3. أهمّية الأســـــواق الداخلية التجـــارية._____ 59
4. أثـــر التجارة التواتية على الـــواقع الاجتماعي والثقافي._____ 63

خلاصة الفصـــل الثالث : _____ 66

*****

خـــاتمة :_____ 68
قـــائمة الملاحق :_____ 71
قائـــمة البيبلوغرافيا :_____ 82

ملخص :

أدّت الصحراء في تاريخ إفريقيا أدوراً حضاريةً كبيرة، إذا كانت طرق الصحراء الوافدة إلى غرب إفريقيا بمثابة مسالك ودروب عبرت من خلالها التجارة والثقافة الإسلامية إلى إفريقيا جنوب الصحراء، ويعتبر إقليم توات من الأقاليم الصحراوية الجزائرية الذي توفّرت به العديد من الطرق التجارية ربطته بمناطق شمـــال الصحراء، وجنوبها وشرقها وغربها، إذ اعتبر همزة وصل بين دول شمـــال الصحراء وجنوبها خاصةً المراكز الحضارية الموجودة في السودان.

وركّزت الدراسة على أهّم الطرق القوافلية التي كانت تمرّ عبر توات، والسلع المتبادلة مثل : الذهب؛ الملح التمور؛ والعبيد إلى جانب الدور الكبير الذي لعبه السكّان المحلّيون من تجار وعلماء وزعامات في تنظيم التجارة، وتوفير الأمن والخدمات للقوافل. وتكمن أهمّية هذه الدراسة في التعريف بالإقليم ودوره التجاري خلال قرون متلاحقة على اعتبار أنّه صار سوقاً يتوسّط أسواق الشمـال والجنوب، ولم يقتصر دوره في تجارة الصحراء كمحطّة تجارية فقط، بل كان يساهم بقوافله التجارية.

الكلمات المفتاحية:

تـــوات؛ التجارة الصحراوية؛ القوافل التجارية؛ الأسواق التجارية.

Abstract:

In the history of Africa, the Sahara played a great civilizational role, if the desert roads coming to West Africa were routes and routes through which Islamic Trade and culture crossed to sub-Saharan Africa, the TUAT region is considered one of the Algerian desert regions, which provided many trade routes linking it to the regions of the north, south, east and west of the Sahara, as it was considered a link between the countries of the North and south of the Sahara, especially the cultural centers located in Sudan.

The study focused on the most important caravan routes that passed through TUAT, exchanged goods such as gold, salt dates, and slaves, in addition to the great role played by the local population of merchants, scientists, and leaders in organizing trade, providing security and services for caravans. The importance of this study lies in introducing the region and its commercial role during successive centuries, considering that it has become a market that mediates the markets of the North and the south, and not only its role in the desert trade as a trading station, but also contributed to its commercial convoys.

Key Words:

Desert trade; commercial caravans; commercial markets.